



وزارة التربية

تفسير القرآن الكريم

الصف السادس - التعليم الديني

الجزء الخامس والعشرون



الطبعة الأولى



وزارة التربية

تفسير القرآن الكريم

الصف السادس - التعليم الديني

الجزء الخامس والعشرون

تأليف

أ) خالد عبدالله حمد البصيلي

أ) لمياء خالد الرندي

أ) عبدالله حامد المطيري

أ) شيماء يوسف الكندري

أ. د. ياسر محمد عبداللطيف

مراجعة لغوية ونحوية أ / مصطفى محمد ربيع

الطبعة الأولى

١٤٣٦ / ١٤٣٧ هـ

٢٠١٥ / ٢٠١٦ م

الطبعة الأولى: ٢٠١٥ / ٢٠١٦ م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

The image features a stylized calligraphic representation of the Basmala (Bismillah) in dark red. The text is written in a highly decorative, cursive style with prominent flourishes. The background consists of a light red gradient with a faint, white geometric pattern of overlapping polygons. At the bottom, there are three dark red squares arranged in a row, with two on the left and one on the right, positioned below the main text.



صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ
صَبَّاحُ الشَّيْخِ صَبَّاحِ الْإِمَامِ أَحْمَدِ بْنِ جَابِرِ الصَّبَّاحِ
أَمِيرَ دَوْلَةِ الْكُوَيْتِ



سَمُو الشَّيْخِ نَوَافِ بْنِ فَهْدِ بْنِ عَبْدِ الرَّحْمَنِ السَّبَّاحِ
وَلِيِّ عَهْدِ دَوْلَةِ الْكُوَيْتِ

المحتوى

الفترة الأولى				
الصفحة	الآيات	الموضوعات	الدرس	السورة
١٥	٤٧-٤٨	إحاطة علم الله تعالى بكل شيء	الأول	فصلت
١٩	٤٩-٥٢	أحوال الناس في السراء والضراء	الثاني	
٢٣	٥٣-٥٤	تأملات في الدلائل الكونية	الثالث	
٢٦	بين يدي سورة الشورى			الشورى
٢٨	١-٦	عظمة الله تعالى ومقاصد الوحي الإلهي	الرابع	
٣٢	٧-١٢	الاختلاف فرقة وهلاك	الخامس	
٣٦	١٣-١٥	مقاصد الشرائع السماوية	السادس	
٤٠	١٦-٢٠	لطف الله تعالى بعباده	السابع	
٤٤	٢١-٢٢	جزاء المؤمنين وعقاب الظالمين	الثامن	
٤٧	٢٣-٢٦	أثر العمل الصالح	التاسع	

الفترة الثانية				
الصفحة	الآيات	الموضوعات	الدرس	السورة
٥١	٢٧-٣١	من دلائل عظمة الخالق وحكمته	العاشر	الشورى
٥٥	٣٢-٣٦	من مظاهر حكمة الله تعالى في خلقه	الحادي عشر	
٥٩	٣٧-٤٣	من صفات المؤمنين في القرآن	الثاني عشر	
٦٣	٤٤-٤٦	مهانة الكافرين يوم القيامة	الثالث عشر	
٦٦	٤٧-٥٠	الأمر كله بيد الله سبحانه وتعالى	الرابع عشر	
٧٠	٥١-٥٣	أنواع الوحي	الخامس عشر	
٧٤	بين يدي سورة الزخرف			الزخرف
٧٥	١-٨	عاقبة المستهزئين بالأنبياء عليهم السلام	السادس عشر	
٧٨	٩-١٤	بيان نعم الله تعالى على عباده	السابع عشر	
٨٢	١٥-٢٥	بطلان حجج الكفار	الثامن عشر	

الفترة الثالثة				
الصفحة	الآيات	الموضوعات	الدرس	السورة
٨٨	٢٨-٢٦	نداء الفطرة	التاسع عشر	النبي
٩١	٣٥-٢٩	موقف مشركي مكة من الإسلام	العشرون	
٩٥	٤٥-٣٦	حال المعرض عن ذكر الله تعالى وندمه	الحادي والعشرون	
١٠٠	٥٦-٤٦	حوار بين نبي الله موسى عليه السلام وفرعون	الثاني والعشرون	
١٠٤	٦٦-٥٧	بيان حقيقة عيسى عليه السلام	الثالث والعشرون	
١٠٨	٧٣-٦٧	أمان المتقين يوم القيامة	الرابع والعشرون	
١١١	٨٠-٧٤	عذاب أهل النار	الخامس والعشرون	
١١٥	٨٩-٨١	تنزيه الله تعالى عن الولد والشريك والصاحبة	السادس والعشرون	
١١٩	بين يدي سورة الدخان			الدخان
١٢٠	٨-١	نزول القرآن الكريم في ليلة القدر	السابع والعشرون	
١٢٤	١٦-٩	تهديد ووعد	الثامن والعشرون	

الفترة الرابعة				
الصفحة	الآيات	الموضوعات	الدرس	السورة
١٢٨	٣٣-١٧	الاعتبار بمصير الظالمين	التاسع والعشرون	الدخان
١٣٣	٣٩-٣٤	الرد على منكري البعث	الثلاثون	
١٣٦	٥٠-٤٠	مشاهد من يوم الفصل	الحادي والثلاثون	
١٤٠	٥٩-٥١	ألوان النعيم الذي أعدّه الله تعالى للمتقين	الثاني والثلاثون	
١٤٤	بين يدي سورة الجاثية			الجاثية
١٤٦	٦-١	إفراد الله تعالى بالوحدانية	الثالث والثلاثون	
١٥٠	١١-٧	الويل والعذاب لكل أفاك أثيم	الرابع والثلاثون	
١٥٤	١٥-١٢	نعم الله تعالى على عباده	الخامس والثلاثون	
١٥٧	٢٢-١٦	نعم الله تعالى على بني إسرائيل	السادس والثلاثون	
١٦٢	٢٩-٢٣	بين الجزاء العادل والحق الفاصل	السابع والثلاثون	
١٦٧	٣٧-٣٠	صور من أهوال يوم القيامة	الثامن والثلاثون	

المقدمة

الحمد لله رب العالمين القائل في كتابه العزيز: ﴿كَتَبْنَا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكًا لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾^(١)، والصلاة والسلام على مَنْ أَرْسَلَهُ رَبُّهُ رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ، سيدنا محمدٍ وعلى آلِهِ وصحبه الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ، وَمَنْ سَلَكَ نَهَجَهُمْ، وَاتَّبَعَ هَدْيَهُمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ وبعد...

فهذا كتابُ التفسيرِ لتعلمي الصفِّ السادس في التعليم الديني، فيه عَرَضٌ موجزٌ، وشرح مبسط للجزءِ الخامسِ والعشرين من كتابِ اللهِ تعالى، وقد حرصت اللجنة المعنية بإعدادِ هذا الكتابِ على ما يلي:

- تقديم نبذة مختصرة لتعريفِ بكلِّ سورةٍ من سورِ المقرر، وهي سُورٌ: فصلت والشورى والزخرف والدخان والجمانية، وبيان ما تشتمل عليه كل سورةٍ من مقاصد.
- تقسيم كل سورةٍ من المقرر إلى مجموعةٍ من الآيات، تشكل مع بعضها موضوعاً واحداً، حتى يتسنى للمتعلمين استيعاب المقصود، وفهم المراد من الدرس.
- شرح الكلمات المبهمة وتوضيحها بأسلوبٍ ميسرٍ يناسب فهم المتعلمين، بعيداً عن التكلف والغموض.
- عرض أسباب نزول الآيات في صورة مبسطة، إسهاماً في تعميق الفهم لدى المتعلم.
- الاستدلال بالآيات القرآنية والأحاديث النبوية الشريفة التي تدعم الشرح، وتثبت المعلومة في ذهن المتعلمين، بالإضافة إلى أقوال مختارة من سيرة السلفِ الصالحِ.

المقدمة

- التركيز على الجانب الوجداني من خلال إبراز القيم، وإلقاء الضوء عليها، مع التنبيه على أهم الفوائد التي ترد من خلال شرح الآيات.
- العناية بعقيدة الغيبيات، من البعث والنشور ويوم القيامة وما فيه من ثواب وعقاب.
- عرض بعض الأحكام الشرعية التي تهم المسلم وبيان أهمية الآداب الإسلامية التي تسمو بالمجتمع.

واللجنة المعنية إذ تُقدم هذا العمل ترحو من الله تعالى التوفيق والسداد للمتعلمين، وترحب بالنقد البناء، أملاً في تداركه في الطبقات اللاحقة، كما ترحو أن يكون هذا العمل خالصاً لوجهه الكريم، وأن ينتفع به القارئ الكريم، وصلى الله وسلم على رسوله الكريم.

المؤلفون

نزول القرآن الكريم

التمهيد :

١- القرآن الكريم هو كلام الله تعالى المنزّل على سيدنا محمد ﷺ بواسطة الوحي، وهو غير مخلوق وألفاظه وحروفه ومعانيه من عند الله تعالى.

٢- نزول القرآن الكريم من عند الله تعالى إلى بيت العزة في السماء الدنيا جملة واحدة، وذلك في ليلة القدر كما قال تعالى ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(١)، ثم أنزل بعد ذلك بواسطة الأمين جبريل عليه السلام كما قال تعالى: ﴿نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ﴾^(٢) وذلك في ثلاثة وعشرين عاماً وقد نزل مفرقاً تثبيتاً لقلب النبي ﷺ وتدرجاً في التشريع، ودفعاً لشبهات المشركين، وملاءمة للأحداث والوقائع كما قال تعالى: ﴿وَقَرَأَ أَنَا وَرَفَقَتُهُ لِنُقَرِّأَهُ عَلَى النَّاسِ عَلَى مَكَّةٍ وَنَزَّلْنَاهُ نَزِيلاً﴾^(٣).

٣- أول ما نزل من القرآن الكريم سورة العلق وسورة المدثر، وآخر ما نزل سورة التوبة والمائدة والفتح.

٤- عدد سور القرآن الكريم مائة وأربع عشرة سورة، نزل في مكة سبع وثمانون سورة، ونزل في المدينة سبع وعشرون سورة.

٥- كتب القرآن الكريم في عهد الرسول ﷺ في الرقاع وجريد النخل وغيره، ثم جمع في صحف في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه ثم جمعه عثمان بن عفان في مصحف واحد.

(١) سورة القدر: ١

(٢) سورة الشعراء ١٩٣ - ١٩٤

(٣) سورة الإسراء: ١٠٦

٦- ترتيب سور القرآن الكريم أمر توفيقى، فقد أمر الرسول ﷺ بوضع كل سورة في مكانها المناسب.

٧- من أشهر كتّاب الوحي أبو بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان بن عفان، وعلي بن أبي طالب ومعاوية بن أبي سفيان، وسعد بن أبي وقاص، وسعيد بن زيد والزيبر بن العوام، وطلحة بن عبید الله، وعبد الرحمن بن عوف، وعبد الله بن عمر، وزيد بن ثابت، وأبي بن كعب وعبد الله بن عبّاس رضي الله عنهم أجمعين.

نسأل الله تعالى أن يتقبل منا صالح الأعمال

والله ولي التوفيق

المؤلفون

إحاطة علم الله تعالى بكل شيء الآيات (٤٧ - ٤٨) من سورة فصلت

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ يُرَدُّ عِلْمُ السَّاعَةِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْ ثَمَرَاتٍ مِنْ أَكْمَامِهَا وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنثَىٰ وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ وَيَوْمَ يُنَادِيهِمْ أَيْنَ شُرَكَائِيَ قَالُوا أءِذْنَاكَ مَا مَنَا مِنْ شَهِيدٍ ﴿٤٧﴾ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَدْعُونَ مِنْ قَبْلُ وَظَنُوا مَا لَهُمْ مِنْ مَّجِيبٍ ﴿٤٨﴾﴾

معاني المفردات :

المعنى	اللفظ
القيامة	السَّاعَةُ
جمع (كِم) بكسر الكاف وهو وعاء الثمرة	أَكْمَامِهَا
أعلمناك وأخبرناك	ءِذْنَاكَ
مَهْرَب	مَّجِيبٍ

المعنى الإجمالي :

علم الله تعالى واسع لا حدود له :

يخبر الله تعالى أن علم الغيب قد اختص به ﷺ فليس لأحد من خلقه علم الغيب وقد

ذكر الله في هذه الآيات ثلاثاً من الغيبات التي لا يعلمها إلا هو ﷻ وهي:

١ - علم الساعة: أي علم قيامها متى تقوم؟ وأخفاها الله ﷻ حتى يستعد لها الإنسان بالعمل الصالح قال تعالى: ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ السَّاعَةِ أَيَّانَ مُرْسِنُهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ رَبِّي لَا يُجِيبُهَا لَوْ قُنِيَ إِلَّا هُوَ ثَقُلَتْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا تَأْتِيكُمُ إِلَّا بَغْثَةٌ يَسْأَلُونَكَ كَأَنَّكَ حَفِيٌّ عَنْهَا قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨٧﴾﴾^(١)، وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «مفاتيح الغيب خمس لا يعلمها إلا الله: لا يعلم ما في غد إلا الله، ولا يعلم ما تغيض الأرحام إلا الله ولا يعلم متى يأتي المطر أحد إلا الله، ولا تدري نفس بأي أرض تموت، ولا يعلم متى تقوم الساعة إلا الله»^(٢).

٢ - ما تخرج من ثمرة من كمها (أي: وعائها) وتظهر إلا يعلمها الله ﷻ على كثرة الثمار والأشجار وسقوط أوراقها كما قال تعالى: ﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا﴾^(٣).

٣ - ما تحمل من أنثى بجنين ولا تضعه يوم ولادته أو إسقاطه إلا بعلمه تعالى وإذنه، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزْدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾﴾^(٤)، وهذه مظاهر الربوبية المستلزمة للألوهية فلا إله غيره ولا رب سواه، ومع هذا فالجاهلون يتخذون له شركاء أنداداً من أحجار وأوثان يعبدونها ظلماً وسفهاً.

(١) سورة الأعراف: ١٨٧

(٢) رواه البخاري

(٣) سورة الأنعام: ٥٩

(٤) سورة الرعد: ٨

توبيخُ المشركين يومَ القيامةِ :

واذكر- أيها العاقلُ - لتعتبرَ وتتعظَ يومَ يُنادي اللهُ تعالى المشركينَ فيقولُ لهمُ يومَ القيامةِ:
أين شركائي الذينَ كنتمُ تعبدونهم منْ دوني ليقربوكم إليَّ أو ليشفعوا لكم عندي؟ والنداءُ
والسؤالُ إنما هو لتوبيخهم والسخريةِ منهم في هذا الموقفِ العظيمِ.
فيقولُ المشركونَ لله ﷻ على سبيلِ التحسّرِ والتذللِ: يا ربَّنَا لقدْ أعلمناك الآنَ بالحقيقةِ بأنَّه
ما مِنَّا أحدٌ يشهد اليومَ بأنْ لك شريكاً، فقد انكشفتْ عنَّا الحُجُبُ واعترفنا بأنك أنت الواحد
القهارُ.

وغابَ عن هؤلاءِ المشركينَ ما كانوا يعبدونه في الدُّنيا منْ أصنامٍ وغيرها، وأيقنوا بأنَّه لا
مَهْرَبَ ولا مَنْجِيَّ لهمُ من العذابِ، قال تعالى: ﴿وَرَاءَ الْمَجْرُمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا
وَلَمْ يَجِدُوهَا مَصْرُفًا ۗ﴾ (٥٣) (١).

قال بعضُ العلماء: لمَّا عاينوا القيامةَ تبرَّؤوا من الأصنام فتبرَّأت الأصنامُ منهم،
وأعلنوا إيمانهم وتوحيدهم في وقتٍ لا ينفعُ فيه إيمان، قال تعالى: ﴿إِذْ تَبَرَّأَ الَّذِينَ
اتَّبَعُوا مِنَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا وَرَأُوا الْعَذَابَ وَتَقَطَّعَتْ بِهِمُ الْأَسْبَابُ ۗ﴾ (١١٧) وَقَالَ الَّذِينَ اتَّبَعُوا لَوْ أَنَّا
لَنَا كَرَّةٌ فَنَتَبَرَّأَ مِنْهُمْ كَمَا تَبَرَّءُوا مِنَّا كَذَلِكَ يُرِيهِمُ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ حَسَرَاتٍ عَلَيْهِمْ وَمَا هُمْ بِخَارِجِينَ
مِنَ النَّارِ ۗ﴾ (١١٧) (٢).

(١) سورة الكهف: ٥٣

(٢) سورة البقرة: ١٦٦ - ١٦٧

من هداية الآيات :

- ١ - استتارُ اللهِ تعالى بعلمِ الغيبِ .
- ٢ - إحاطةُ علمِ اللهِ تعالى بكلِّ شيءٍ .
- ٣ - براءةُ المشركينَ يومَ القيامةِ مِنْ شركِهِم، وغيابُ شركائِهِم عنهم .
- ٤ - التوحيدُ نِجاةٌ من العذابِ يومَ القيامةِ .

أحوال الناس في السراء والضراء الآيات (٤٩ - ٥٢) من سورة فصلت

قال تعالى: ﴿لَا يَسْتَمُ الْإِنْسَانُ مِنْ دُعَاءِ الْخَيْرِ وَإِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ فَيَئُوسٌ قَنُوطٌ﴾ ٤٩ ﴿وَلَيْنَ أَدْقَنَهُ رَحْمَةً مِّنَّا مِنْ بَعْدِ ضَرَاءٍ مَسَّتْهُ لِيَقُولَنَّ هَذَا لِي وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُجِعْتُ إِلَىٰ رَبِّي إِنَّ لِي عِنْدَهُ لَلْحُسْنَىٰ فَلَنُنَبِّئَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِّنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ ٥٠ ﴿وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَىٰ بِجَانِبِهِ وَإِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ فَذُو دُعَاءٍ عَرِيضٍ﴾ ٥١ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ مِنَ عِنْدِ اللَّهِ تَمَمٌ كَفَرْتُمْ بِهِ مِنْ أَضَلِّ مِمَّنْ هُوَ فِي شِقَاقٍ بَعِيدٍ﴾ ٥٢

معاني المفردات :

المعنى	اللفظ
لا يملُّ	لَا يَسْتَمُ
يائسٌ	قَنُوطٌ
كثيرٌ وكبيرٌ	غَلِيظٍ

المعنى الإجمالي

حُبُّ النَّعْمِ طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ :

يخبرُ اللهُ تعالى عن الإنسانِ الكافرِ الذي لم تُرَكْ نفسه ولم تَطْهَرْ رُوْحُه بالإيمانِ وصالحِ

الأعمال أَنَّهُ لَا يَسْأَمُ وَلَا يَمَلُّ مِنْ دَعَاءِ الْخَيْرِ مِنْ مَالٍ وَوَلَدٍ وَصِحَّةٍ وَمَنْصِبٍ فَلَا يَشْبَعُ مِنْ ذَلِكَ بِحَالٍ، وَلَئِنْ مَسَّهُ الشَّرُّ مِنْ ضَرٍّ وَفَقْرٍ وَبَلَاءٍ وَمَرَضٍ وَنَحْوِهِمْ، فَإِنَّهُ يُوَوِّسُ مِنَ الْفَرْجِ وَتَبَدَّلِ الْحَالِ مِنْ عَسْرِ إِلَى يَسْرٍ، وَقَنُوطٌ ظَاهِرٌ عَلَيْهِ آثَارُ الْيَأْسِ فِي حَالِهِ كُلِّهِ، وَعَبَّرَ سُبْحَانَهُ بِقَوْلِهِ: ﴿فَيُوَسُّ قَنُوطٌ﴾ وَهَمَّا مِنْ صِيغِ الْمَبَالِغَةِ، لِلإِشَارَةِ إِلَى شِدَّةِ حُزْنِهِ وَجَزَعِهِ عِنْدَمَا يَعْتَرِيهِ الشَّرُّ.

جُحُودِ الْكَافِرِ لِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى :

ثُمَّ بَيَّنَّ سُبْحَانَهُ حَالَةَ أُخْرَى مِنْ حَالَاتِ هَذَا الْإِنْسَانِ الْكَافِرِ حِينَمَا يُذِيقُهُ اللَّهُ تَعَالَى رَحْمَةً مِنْهُ مِنْ مَالٍ وَصِحَّةٍ وَاجْتِمَاعٍ شَمَلٍ مِثْلًا، وَذَلِكَ مِنْ بَعْدِ ضُرَاءِ مَسَّتَهُ مِنْ مَرَضٍ وَفَقْرٍ وَنَحْوِهِمَا لِيَقُولَنَّ غُرُورًا وَبَطْرًا: هَذَا الَّذِي أُعْطِيْتُهُ شَيْءٌ اسْتَحِقُّهُ، لِأَنَّهُ جَاءَنِي بِسَبَبِ جُهْدِي وَعِلْمِي، وَلَمْ يَعْلَمْ هَذَا الْجَاهِلُ أَنَّ اللَّهَ يُبْتَلِي عِبَادَهُ بِالْخَيْرِ وَالشَّرِّ، لِيَتَبَيَّنَ الشَّاكِرَ مِنَ الْجَاهِدِ وَالصَّابِرَ مِنَ الْجَازِعِ.

وَإِذَا ذُكِّرَ هَذَا الْجَاهِدُ بِالسَّاعَةِ مِنْ أَجْلِ أَنْ يَرْفُقَ أَوْ يَتَّصَدَّقَ يَقُولُ: مَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً كَمَا تَقُولُونَ وَإِنْ قَامَتْ عَلَى فَرَضٍ صِحَّةٍ قَوْلِكُمْ إِنَّ لِي عِنْدَ اللَّهِ تَعَالَى لِلْحَالَةِ الْحَسَنِي مِنَ الْغِنَى وَالْكَرَامَةِ وَالْجَنَّةِ إِنْ كَانَتْ كَمَا تَقُولُونَ، وَهَذَا اعْتِقَادٌ بَاطِلٌ، وَظَنٌّ فَاسِدٌ.

جَزَاءُ الْكَافِرِ الْجَاهِدِ لِنِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى :

قَالَ تَعَالَى: ﴿فَلَنَبَيِّنَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِمَا عَمِلُوا وَفَلَنُذِيقَنَّهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيظٍ﴾ أَيَّ يَوْمِ الْقِيَامَةِ عِنْدَ عَرْضِهِمْ عَلَيْنَا نَعْلَمُ هَؤُلَاءِ الْكَافِرِينَ بِأَعْمَالِهِمِ السَّيِّئَةِ، وَنُذِيقُهُمْ عَذَابًا كَبِيرًا يَخْلُدُونَ فِيهِ

ولا يَخْرُجُونَ مِنْهُ أَبَداً وَلَا يُكِنُّهُمُ الْفَكَاكُ مِنْهُ لَشِدَّتِهِ وَإِحَاطَتِهِ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ، وَاللَّامُ فِي ﴿فَلْتَنَبَّئِنَّ﴾ ﴿وَلْتَذِيقَنَّهُمْ﴾ لَامُ الْقَسَمِ.

حَالُ ضَعِيفِ الْإِيمَانِ مَعَ نِعْمِ اللَّهِ تَعَالَى :

يُوضِّحُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّهُ إِذَا أَنْعَمَ عَلَى الْإِنْسَانِ ضَعِيفِ الْإِيمَانِ بِنِعْمَةِ الْمَالِ وَالْوَالِدِ وَالصَّحَّةِ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِهِ وَشُكْرِهِ وَبَعُدَ عَنْ طَاعَتِهِ وَشَمَخَ بِأَنْفِهِ تَكْبَرًا وَتَرْفَعًا، وَإِذَا سَلَبَهُ ذَلِكَ وَمَسَّهُ الشَّرُّ مِنْ مَرَضٍ وَفَقْرٍ وَجَهْدٍ وَبِلَاءٍ فَهُوَ ذُو دَعَاءٍ كَثِيرٍ مُتَذَلِّلٍ مُتَضَرِّعٍ (يَارَبُّ يَارَبُّ)، وَهَكَذَا طَبِيعَةُ الْإِنْسَانِ ضَعِيفِ الْإِيمَانِ الْجُحُودُ وَالنِّكَرَانُ، يَعْرِفُ رَبَّهُ فِي الْبِلَاءِ وَيُنْسَاهُ فِي الرَّخَاءِ، وَهَذَا حَالٌ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ.

وفي معنى هذه الآياتِ الكريمة، جاءت آياتٌ كثيرةٌ، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ الْإِنْسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا﴾

﴿١٩﴾ إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعًا ﴿٢٠﴾ وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعًا ﴿٢١﴾ ﴿١﴾.

أما المؤمنُ باللهِ تعالى قوِيَّ الإِيمَانِ، فَقَدْ قَالَ عَنْهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «عَجَبًا لِأَمْرِ الْمُؤْمِنِ إِنَّ أَمْرَهُ كُلَّهُ لَهُ خَيْرٌ وَلَيْسَ ذَلِكَ لِأَحَدٍ إِلَّا لِلْمُؤْمِنِ إِنْ أَصَابَتْهُ سَرَّاءٌ شَكَرَ فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ وَإِنْ أَصَابَتْهُ ضَرَّاءٌ صَبَرَ فَكَانَتْ خَيْرًا لَهُ» ﴿٢﴾.

المكذَّبُ للقرآنِ يعيشُ في ضلالٍ :

ثمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ أَنْ يَقُولَ لِلْكَافِرِينَ أَخْبِرُونِي إِنْ كَانَ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ

(١) سورة المعارج: ١٩-٢٠

(٢) رواه مسلم

تعالى ثم كَفَرْتُمْ بِهِ مَعَ ظُهُورِ الْأَدْلَةِ وَالْبِرَاهِينِ عَلَى وَجوبِ الْإِيمَانِ بِهِ، مَنْ يَكُونُ أَضَلَّ مِنْكُمْ؟

والجوابُ : اللَّهُمَّ لَا أَحَدَ يَكُونُ أَضَلَّ مِمَّنْ ابْتَعَدَ عَنِ طَرِيقِ الْهُدَى وَهُوَ يَعِيشُ فِي صِرَاعٍ مَعَ

نَفْسِهِ، إِذَا فَلَمَّ لَا تَرْجِعُونَ إِلَى رُشْدِكُمْ وَتَوَرِّمُونَ بآيَاتِ رَبِّكُمْ.

مِنْ هِدَايَةِ الْآيَاتِ :

١ - وجوبُ شُكْرِ النِّعَمِ وَعَدْمُ نَسْيَانِ الْمُنْعَمِ.

٢ - تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالْجِزَاءِ بِذِكْرِ بَعْضِ الْأَحْدَاثِ فِيهَا.

٣ - ذَمُّ الْيَأْسِ وَالْقَنُوطِ وَالْكَبْرِ.

٤ - الْمَكْذِبُ بِالْقُرْآنِ يَعِيشُ فِي خِلَافٍ وَشِقَاقٍ وَضَلَالٍ.

تأملات في الدلائل الكونية الآيات (٥٣ - ٥٤) من سورة فصلت

قال تعالى ﴿ سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَلَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٥٣﴾ أَلَا إِنَّهُمْ فِي مَرِيَّةٍ مِّن لِّقَاءِ رَبِّهِمْ أَلَّا إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾ ۞

معاني المفردات :

اللفظ	المعنى
سُنُرِيهِمْ	سُنُطْلِعُهُمْ
الْأَفَاقِ	أَنْحَاءِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ
مَرِيَّةٍ	شَكِّ عَظِيمٍ

المعنى الإجمالي :

مظاهر قدرة الله تعالى في الكون

يخبرُ اللهُ تعالى الناسَ بِعَظِيمِ قَدْرَتِهِ أَنَّهُ سَيُرِيهِمْ آيَاتِهِ الشَّرْعِيَّةَ وَالْكُونِيَّةَ الدَّالَّةَ عَلَى صِدْقِهِ
سُبْحَانَهُ وَصِدْقِ رَسُولِهِ ﷺ فِيمَا بَلَغَ عَنْهُ.

فَمِنَ الآيَاتِ الشَّرْعِيَّةِ: اِنْتِشَارُ وَظُهُورُ الإِسْلَامِ عَلَى الأَقَالِيمِ وَالبُلْدَانِ وَالشُّعُوبِ يَقُولُ ﷺ
«لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الدِّينُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَ النَّهَارُ، وَ لَا يَتْرُكُ اللَّهُ ﷻ بَيْتَ مَدْرٍ وَ لَا وَبْرٍ إِلاَّ أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا
الدِّينَ، بَعزٌّ عَزِيزٌ أَوْ بَدَلٌ ذَلِيلٌ، عَزُّ يُعِزُّ اللَّهُ ﷻ بِهِ الإِسْلَامَ، أَوْ ذُلٌّ يُذِلُّ بِهِ الكُفْرَ» (١).

وَمِنَ الآيَاتِ الكُونِيَّةِ: أَنَا سُنْرِيهِمْ دَلَائِلُ قَدْرَتِنَا فِي أَقْطَارِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ، وَفِي أَنفُسِهِمْ
وَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ مِنْ بَدِيحِ آيَاتِ اللَّهِ وَ عَجَائِبِ صَنعِهِ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ مِنْ تِلْكَ الآيَاتِ بَيَانٌ
لَا يَقْبَلُ الشَّكَّ أَنَّ القُرْآنَ الكَرِيمَ هُوَ الحَقُّ المَوْحَى بِهِ مِنْ رَبِّ العَالَمِينَ، وَلَقَدْ صَدَّقَ اللَّهُ تَعَالَى
وَ عَدَّهُ، وَفِي كُلِّ يَوْمٍ بَلٌّ فِي كُلِّ سَاعَةٍ، يَطَّلِعُ النَّاسُ عَلَى أسْرَارٍ جَدِيدَةٍ فِي هَذَا الكَوْنِ الهَائِلِ،
وَ قَدْ كَشَفَ العِلْمُ عَنْ أُمُورٍ كَثِيرَةٍ عَنِ الأَرْضِ وَ مَا عَلَيْهَا، وَ عَنِ النِّظَامِ الشَّمْسِيِّ وَ مَا فِيهِ، وَأَنَّ
هَذِهِ الأَرْضَ وَ مَا حَوْلَهَا مَا هِيَ إِلاَّ ذَرَّةٌ صَغِيرَةٌ تَابِعَةٌ لِلشَّمْسِ، الَّتِي هِيَ وَ مَا حَوْلَهَا ذَرَّةٌ صَغِيرَةٌ
تَسْبُحُ فِي هَذَا الكَوْنِ الفَسِيحِ، وَ عَرَفَ النَّاسُ عَنِ الجِسْمِ البَشَرِيِّ وَ تَرَكيبِهِ وَ خِصَائِصِهِ وَ أسْرَارِهِ
الشَّيْءَ الكَثِيرَ، وَ كُلُّ هَذِهِ المَعْلُومَاتِ وَ الاكْتِشَافَاتِ مَا هِيَ إِلاَّ ذَرَّةٌ مِنْ عِلْمِ اللَّهِ تَعَالَى الوَاسِعِ،
قَالَ تَعَالَى: ﴿وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ العِلْمِ إِلاَّ قَلِيلًا﴾ (٢).

تقرير الرسالة المحمدية :

ثُمَّ يُؤَيِّخُ اللَّهُ تَعَالَى الكَافِرِينَ عَلَى عِنَادِهِمْ: أَلَمْ يَكْفِ هَؤُلَاءِ الجَاحِدِينَ، أَنَّ رَبَّكَ - أَيُّهَا
الرَّسُولُ الكَرِيمُ - شَهِيدٌ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، وَ عَلَى أَنَّكَ صَادِقٌ فِيمَا تُبَلِّغُهُ عَنْهُ، بَلَى إِنَّ فِي شَهَادَةِ
رَبِّكَ وَ عِلْمِهِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ سِوَاهُ.

شكُّ الكافرين بيوم القيامة :

ثُمَّ بَيَّنَّ سَبْحَانَهُ فِي خَتَامِ السُّورَةِ حَقِيقَةَ أَمْرِ أَوْلَئِكَ الكَافِرِينَ فَهَمُّ فِي شَكِّ وَرِيبةٍ مِنْ لِقَاءِ

(١) رواه أحمد وصححه الألباني

(٢) سورة الإسراء: ٨٥

رَبُّهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِنكَارِهِمُ الْبَعْثَ وَالْحِسَابَ وَالْجَزَاءَ، قَالَ تَعَالَى: ﴿بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا﴾ (١).

ويوضِّح سبحانه أنه محيطٌ بكلِّ المخلوقاتِ إحاطةً تامَّةً لا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ، وكلُّها تحتَ قهره وفي قبضته وتحت علمه، وهو المتصرِّف فيها كُلِّها بحُكمه، فما شاء كان، وما لم يشأ لم يكن، لا إله إلا هو تعالى عمَّا يشركون.

من هداية الآيات :

- ١ - صدق وعد الله تعالى حيث انتشر الإسلام في كثير من بلاد الأرض.
- ٢ - كلُّ اكتشافٍ ظهر وبيظهر مستقبلاً يدخل في هذه الآية: ﴿سَرِيهِمْ أَيْتِنَا فِي الْأَفَاقِ وَفِي أَنْفُسِهِمْ﴾.
- ٣ - الكافر يشكُّ في لقاء الله تعالى يوم القيامة لإنكاره البعث والجزاء.
- ٤ - الله تعالى لا يخفى عليه شيءٌ في الأرضِ ولا في السماءِ.

بين يدي سورة الشورى

التعريف بالسورة الكريمة :

هذه السورة الكريمة رقمها في المصحف اثنان وأربعون، وعدد آياتها ثلاث وخمسون آيةً، ونزلت بعد سورة فصلت.

سورة الشورى مكية ما عدا الآيات ٢٣، ٢٤، ٢٥، ٢٧، فمدنية.

وهي تتناول أهداف السور المكية (التوحيد، الرسالة، البعث)، والمحور الذي تدور عليه السورة هو الوحي والرسالة وهو الهدف الأساسي للسورة الكريمة.

وسميت (سورة الشورى) تنويهاً بمكانة الشورى في الإسلام، وتعليماً للمؤمنين أن يقيموا حياتهم على هذا المنهج الأمثل الأكمل منهج الشورى لما له من أثر عظيم جليل في حياة الفرد والمجتمع، كما قال الله تعالى: ﴿وَأْمُرُهُمْ سُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾.

أهم محاور السورة الكريمة :

١ - ابتدأت السورة بتقرير مصدر الوحي، ومصدر الرسالة، فالله تعالى رب العالمين هو الذي أنزل الوحي على الأنبياء والمرسلين، وهو الذي اصطفى لرسالاته من يشاء من عباده ليخرجوا الناس من ظلمات الشرك والضلال إلى نور الهداية والإيمان.

٢ - تعرض السورة حال بعض المشركين، ونسبتهم لله تعالى الذرية والولد، حتى إن السماوات تكاد يتفطرن من هول تلك المقالة الشنيعة.

٣ - تُقارن السورة بين كفر أهل الأرض وطغيانهم وإيمان أهل السماء.

٤ - تعودُ السورةُ للحديثِ عن الوحيِ والرسالةِ فتقرّرُ أنّ الدينَ واحدٌ أرسلَ اللهُ تعالى بهِ جميعَ المرسلينَ، وأنَّ شرائعَ الأنبياءِ وإنَّ اختلفتْ إلا أنّ دينَهُم واحدٌ.

٥ - تنتقلُ السورةُ الكريمةُ للحديثِ عن المكذّبينَ بالقرآنِ الكريمِ المنكرينَ للبعثِ والجزاءِ وتُنذِرُهُم بالعذابِ الشديدِ.

٦ - تتحدّثُ السورةُ عن دلائلِ الإيمانِ في هذا الكونِ، وتدعو الناسَ إلى الاستجابةِ لدعوةِ الله تعالى قبلَ أن يفاجئهم ذلك اليومُ العصيبُ.

٧ - تُختمُ السورةُ بالحديثِ عن الوحيِ وعن القرآنِ كما بدأتْ في مطلعِ السورةِ.

عظمة الله تعالى ومقاصد الوحي الإلهي

الآيات (١ - ٦) من سورة الشورى

قال تعالى: ﴿حَمَّ ١ عَسَقَ ٢﴾ كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿٣﴾ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٤﴾ تَكَادُ السَّمَوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْ فَوْقِهِنَّ وَالْمَلَائِكَةُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا إِنْ أَلَّ اللَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ ﴿٥﴾ وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ اللَّهُ حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ ﴿٦﴾

معاني المفردات :

المعنى	اللفظ
يَتَشَقَّقْنَ	يَتَفَطَّرْنَ
شركاء	أَوْلِيَاءَ
رقيبٌ عليهم	حَفِيفٌ عَلَيْهِمْ

المعنى الإجمالي

بعض فوائد الحروف المقطعة :

بدأت سورة الشورى بقوله تعالى: ﴿حَمَّ ١ عَسَقَ ٢﴾ وتقرأ هكذا: (حاميم عين سين قاف) وتسمى هذه الحروف بالأحرف المقطعة، وتكون في بعض أوائل السور الكريمة، وأحسن ما قيل في تفسيرها: الله أعلم بمراده منها...

وقد استخرج منها بعض أهل العلم فائدتين :

١ - لفت انتباه السامع، وذلك لأنَّ المشركين كانوا يُعرضون عن الاستماع لآيات القرآن الكريم فخاطبهم الله تعالى بهذه الحروف وهو منطلقٌ غريبٌ عليهم حتى يستميلهم إلى سماع القرآن فيتأثروا ويؤمنوا.

٢ - التحدي والإعجاز، لأنه لما أنكر المشركون كون القرآن كلام الله تعالى تحدّاهم الله تعالى بأن يأتيوا بمثل هذا الكتاب العظيم المكوّن من مثل هذه الحروف المقطعة، وكأنه يقول لهم: إن هذا القرآن مؤلّف من هذه الحروف فألفوا أنتم مثله.

فائدة: كل سورة افتتحت بالحروف المقطعة لابد أن يُذكر فيها الانتصار للقرآن الكريم وبيان إعجازه.

ثم يخبر الله تعالى أنه أوحى إلى النبي الكريم بأصول الدين الثلاثة وهي التوحيد والنبوة والبعث مثلما أوحى إلى الرسل من قبله بما شاء من وحي وهو تعالى العزيز الذي لا يغلبه غالب، الحكيم في كل أقواله وأفعاله.

والله تعالى له جميع ما في السماوات وما في الأرض خلقاً ومُلْكاً وتصرفاً وهو سبحانه ذو العلوّ المُطلق على خلقه علوّاً يليقُ بجلاله العظيم في ذاته وحُكمه وتدبيره سبحانه لا إله إلا هو ولا ربّ سواه.

مظاهر عظمة الله تعالى :

ثم بين سبحانه بعض مظاهر علو شأنه وكمال عظمته وجلاله وهي:

١- تكادُ السماواتُ يتشققن ويتصدغن مع علوهن خشيةً ورهبةً من عظمة الرب تبارك وتعالى ومن شناعة ما يقوله المشركون من اتخذ الله الولد.

٢- أَنَّ الْمَلَائِكَةَ السَّمْعَاءَ دَائِبُونَ فِي حَمْدِ رَبِّهِمْ وَتَسْبِيحِهِ وَتَنْزِيهِهِ عَنْ كُلِّ مَا لَا يَلِيقُ بِجَلَالِهِ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ، وَأَسْمَعُ مَا لَا تَسْمَعُونَ، أَطَّتِ السَّمَاءُ وَحَقُّ لَهَا أَنْ تَنْطَطَّ، مَا فِيهَا مَوْضِعُ أَرْبَعِ أَصَابِعٍ إِلَّا وَمَلَكٌ وَاضِعٌ جَبْهَتَهُ سَاجِدًا لِلَّهِ عَجَلًا»^(١).

ومع تسبيحهم لله تعالى يطلبون المغفرة للمؤمنين من أهل الأرض لأنهم هم الذين يستحقونها بدليل قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَجْمَلُونَ الْعَرْشَ وَمَنْ حَوْلَهُ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ وَيُؤْمِنُونَ بِهِ وَيَسْتَغْفِرُونَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا﴾^(٢).

ألا فانتبهوا أيها القوم بأن الله تعالى هو واسع المغفرة لذنوب عباده، رحيم بهم حيث لا يعاجلهم بالعقوبة مع كفرهم وعصيانهم، لا يمنعه من ذلك مانع، ولا يحاسبه على ما يفعل محاسب.

سوء عاقبة المشركين :

ثم بين سبحانه سوء عاقبة المشركين الذين اتخذوا من دون الله تعالى شفعاء وشركاء

(١) رواه الترمذي

(٢) سورة غافر: ٧

لِيُقَرَّبُوهُمْ إِلَيْهِ زُلْفَى، فَاللَّهُ تَعَالَى وَحْدَهُ رَقِيبٌ عَلَيْهِمْ، وَسَيُجَازِيهِمْ بِمَا يَسْتَحِقُّونَ مِنْ عِقَابٍ
يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَا أَنْتَ - أَيُّهَا الرَّسُولُ الْكَرِيمُ - عَلَيْهِمْ بِحَفِيفٍ أَوْ رَقِيبٍ عَلَى أَعْمَالِهِمْ، وَإِنَّمَا
عَلَيْكَ الْبَلَاغُ وَنَحْنُ عَلَيْنَا الْحِسَابُ.

فائدة: في الآية تسليّةٌ للرّسول ﷺ وتخفيفٌ عنه؛ لأنّه كَانَ يَشُقُّ عَلَيْهِ إِعْرَاضُ الْمُشْرِكِينَ
وَإِصْرَارُهُمْ عَلَى الشَّرِكِ بِاللَّهِ تَعَالَى.

من هداية الآيات :

- ١- الوحي نزل على جميع الأنبياء، ودعوتهم واحدة تدور على التوحيد.
- ٢- بيان عظمة الله تعالى وجلاله وكماله حتى إنّ السماوات تكادُ يتفطرْنَ من فوقهنّ
والملائكة يسبحون بحمده تعالى ويستغفرون للمؤمنين.
- ٣- تسليّة الرّسول ﷺ والتخفيفُ عنه.

الاختلاف فرقة وهلاك

الآيات (٧-١٢) من سورة الشورى

قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَىٰ وَمَنْ حَوْلَهَا وَنُنذِرَ يَوْمَ الْجُمُعِ لَأَرْيَبَ فِيهِ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴿٧﴾ وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِنْ يَدْخُلُ مَنْ يَشَاءُ فِي رَحْمَتِهِ وَالظَّالِمُونَ مَا لَهُمْ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾ أَمِ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ فَاللَّهُ هُوَ الْوَلِيُّ وَهُوَ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٩﴾ وَمَا أَخْلَفْتُمْ فِيهِ مِنْ شَيْءٍ فَحُكْمُهُ إِلَى اللَّهِ ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبِّي عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ ﴿١٠﴾ فَاطِرُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذُرُّكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿١٢﴾﴾

معاني المفردات :

المعنى	اللفظ
لُتُخَوِّفَ	لِنُنذِرَ
خالق ومبدع	فَاطِرُ
يُكثِّرُكُمْ وَيُبْثِّكُمْ	يَذُرُّكُمْ
مفاتيح	مَقَالِيدُ

المعنى الإجمالي :

القرآن كلام الله تعالى الموحى به إلى النبي ﷺ :

يبين الله تعالى أنه أوحى إلى رسوله ﷺ قرآناً كما أوحى إلى غيره من الأنبياء ﷺ كتباً كالتوراة والإنجيل، وقد نزل على رسوله قرآناً عربياً بلغة قومه حتى يفهموه قال تعالى: ﴿ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ رَسُولٍ إِلَّا بِلِسَانِ قَوْمِهِ لِيُبَيِّنَ لَهُمْ فَيُضِلُّ اللَّهُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ (١)، ولينذر أهل مكة ومن حولهم من العرب وينذر الناس جميعاً أن يوم القيامة آت لا شك فيه، وأنهم في ذلك اليوم فريقان: ﴿ فَرِيقٌ فِي الْجَنَّةِ وَفَرِيقٌ فِي السَّعِيرِ ﴾ فالأول يدخل الجنة بإيمانه وماقدم من صالح الأعمال، والثاني يدخل النار بكفره وماقدم من سيئ الأعمال.

وسميت مكة بأمة القرى، لأن فيها أول بيت وضع للناس، وهي أعظم القرى شأنًا.

ثم ذكر الله تعالى أن حكمته اقتضت أن يكون الإيمان اختياراً كما قال تعالى: ﴿ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفُرْ ﴾ (٢) وهذا الاختيار حتى يتحمل كل إنسان عاقبة اختياره، ولو شاء الله تعالى لجعل الناس أمة واحدة في الدنيا على دين الإسلام، لكنه سبحانه يدخل من يشاء في رحمته في الدنيا والآخرة، والظالمون - وهم المشركون - ما لهم من ولي ولا نصير، وهم في عذاب السعير، والآية تسلية للرسول ﷺ عما كان يقاسيه من كفر قومه.

(١) سورة إبراهيم: ٤

(٢) سورة الكهف: ٢٩

توبيخ الكفار على عبادتهم الأصنام :

وينكر الله ﷻ على أولئك المشركين اتخاذهم آلهة يوالونها من دون الله تعالى، يستعينون بها ويطلبون نصرها وشفاعتها وهذا ضلالٌ بعيدٌ، فالله تعالى وحده الوليُّ الحقُّ، لا وليَّ سواه، وهو تعالى الذي في قدرته إعادة الحياة إلى الموتى بعد موتهم، وهو وحده الذي لا يُعجز قدرته شيءٌ، وما دام الأمر كذلك، فكيف اتخذ أولئك الجاهلون أولياء من دونه.

ثمَّ يوجِّه الله تعالى الناس إلى أن ولايته تقتضي وجوب التحاكم إلى شريعته فما اختلفتم فيه من شيءٍ من أمور دينكم فالحكم فيه مرده إلى الله في كتابه وسنة رسوله ﷺ، وقل لهم يا محمد ذلك الحاكم العادل هو خالقي ورازقي، عليه وحده توكلت في جميع شؤوني وإليه وحده أرجع في كل أموري.

الله تعالى له الأسماء الحسنى والصفات العلى :

ثمَّ واصل الله تعالى ذكر صفاته الفعلية فيبين أنه خالق السماوات السبع والأرضين من غير مثال سابق، وجعل لكم سبحانه بقدرته من جنس أنفسكم نساءً تجمع بينكم وبينهن المودة والرحمة، وخلق أيضاً للأنعام من جنسها إناثاً، ليحصل التكاثر والتوالد والتناسل والتعمير لهذا الكون.

ثم نزه الله تعالى نفسه وأخبر أنه ليس يشبهه ولا يماثله شيءٌ من مخلوقاته، لا في ذاته، ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله، لأنَّ أسماءه كلها حسنى، وصفاته صفات كمال وعظمة وهو تعالى السميع لأقوال العباد وأصواتهم، البصير بأفعالهم.

فائدة: في قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ما يلي من الفوائد:

١- دليلٌ لمذهب أهل السنة والجماعة، في إثبات الصفات، ونفي مماثلة الله تعالى للمخلوقات.

٢- قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ﴾ ردٌّ على المشبهة الذين يشبهون الله تعالى بالخلق.

٣- قوله تعالى: ﴿وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ ردٌّ على المعطلة الذين ينفون صفات الله تعالى.

وبعد ذلك بيّن الله تعالى أنّ له ملك السموات والأرض، وبيده مفاتيح الرحمة والأرزاق، يُوسّع رزقه على من يشاء من عباده ويُضيّقه على من يشاء، إنّه تبارك وتعالى بكلّ شيءٍ علِيمٌ.

من هداية الآيات :

١- وجوب ردّ ما اختلف فيه إلى الله تعالى ليحكم فيه وهو الردّ إلى الكتاب والسنة.

٢- التوكّل على الله تعالى وحده والإنابة إليه في كلّ الأمور.

٣- تنزيه الله تعالى عن مشابهته لخلقه مع وجوب الإيمان بأسمائه الحسنى وصفاته العلىا.

٤- الإيمان بأنّ الله تعالى هو الرزاق بيده مفاتيح خزائن الأرزاق.

مقاصد الشرائع السماوية

الآيات (١٣-١٥) من سورة الشورى

قال تعالى: ﴿ شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا نَدَعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ ﴿١٣﴾ وَمَا نَفَرَقُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَعْثًا بَيْنَهُمْ وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى لَفُضِّى بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الَّذِينَ أُورِثُوا الْكِتَابَ مِنْ بَعْدِهِمْ لَفِي شَكٍّ مِنْهُ مُرِيبٍ ﴿١٤﴾ فَلِذَلِكَ فَادْعُ وَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَقُلْ ءَامَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنْ كِتَابٍ وَأُمِرْتُ لِأَعْدِلَ بَيْنَكُمْ اللَّهُ رَبُّنَا وَرَبُّكُمْ لَنَا أَعْمَلْنَا وَلَكُمْ أَعْمَلَكُمْ لَا حُجَّةَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ اللَّهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا وَإِلَيْهِ الْمَصِيرُ ﴿١٥﴾

معاني المفردات :

المعنى	اللفظ
عظم وشق	كَبُرَ
يصطفي	يَجْتَبِي
يَرْجِعُ	يُنِيبُ
ظلماً وتجاوزاً لحدود الله تعالى	بَعْثًا بَيْنَهُمْ

المعني إجمالي :

الرسول ﷺ دعوتهم واحدة :

يخاطبُ اللهُ تعالى المؤمنينَ ويبيِّنُ أنَّه شرَّعَ لهم من الدينِ والإسلامِ ما وصَّى به نوحٌ ومحمدٌ وإبراهيمَ وموسى وعيسى ﷺ - وهؤلاء الخمسةُ هم أولُو العزمِ من الرسلِ - أنْ أقيموا الدينَ وتمسَّكوا به، واحفظوه من أنْ يقع فيه زيغٌ أو اضطرابٌ، ولا تختلفوا في هذا الدينِ الذي أمرتكم به، فقد عَظَمَ وشقَّ على المشركينَ ما تدعوهم إليه - يامحمدُ - من توحيدِ الله وإخلاصِ العبادَةِ له، واللهُ تعالى يَضطفي ويختارُ للإيمانِ مَنْ يشاءُ من خلقه، ويهدي ويوفِّقُ للعملِ بطاعتهِ من يَرِجِعُ إليه.

والمرادُ بالدينِ الذي جاءتْ به جميعُ الرسلِ ﷺ هو أصولُ العقيدة، ويراد به توحيدُ الله تعالى وعبادتهِ وحده لا شريكَ له، والإيمانُ بكتبه ورُسُله وملائكته واليومِ الآخرِ كما قال ﷻ: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِيَ إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ (١).

التحذيرُ من البغي فهو أصلُ الاختلافِ والتفرُّقِ :

يبيِّنُ سبحانه أنه ما تفرَّقتْ أممُ الأنبياءِ السابقينَ، إلا من بعد ما علِّموا الحقَّ عن طريقِ أنبيائهم، وكان سببَ هذا التفرُّقِ والاختلافِ: البغيُّ والظلمُ والعنادُ الذي استولى على نفوسهم، ثم وضح سبحانه بعضَ مظاهرِ رحمتهِ، وأنه لولا كلمةٌ سبقتْ من ربِّك - أيها الرسولُ الكريمُ -،

(١) سورة الأنبياء: ٢٥

قضت بتأخير العذاب عنهم إلى يوم القيامة لعجل لهم العقوبة في الدنيا سريعاً باستئصالهم وقطع دابرهم، وفي هذا تحذير للمؤمنين من مثل ذلك الاختلاف.

والذين ورثوا التوراة والإنجيل عن أسلافهم السابقين الذين اختلفوا على أنبيائهم هم في شك وحيرة وقلق من كتبهم، ولذلك لم يؤمنوا بها حق الإيمان، وإنما هم مقلدون لآبائهم وأسلافهم، بلا دليل ولا برهان.

الحث على الدعوة والاستقامة على طاعة الله تعالى :

حَضَّ اللهُ تَعَالَى نَبِيَّهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى الْمَضِيِّ فِي دَعْوَتِهِ إِلَى ذَلِكَ الدِّينِ الْحَقِّ الَّذِي هُوَ الْإِسْلَامُ فَادْعُ جَمِيعَ النَّاسِ وَاسْتَقِمْ عَلَيْهِ كَمَا أَمَرَكَ رَبُّكَ، وَلَا تَزْغُ عَنْهُ وَلَا تُعَدِّلْ بِهِ غَيْرَهُ، وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الْمُشْرِكِينَ وَلَا أَهْوَاءَ أَهْلِ الْكِتَابِ، وَأَظْهِرْ دِينَكَ فِي صِرَاحَةٍ وَوُضُوحٍ وَقُلْ: آمَنْتُ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى مِنْ كِتَابٍ فَلَا أُوْمِنُ بِبَعْضٍ وَأُكْفِرُ بِبَعْضٍ كَمَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مَعْشَرَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى، وَقُلْ لَهُمْ: أَمْرِنِي رَبِّي أَنْ أَعْدِلَ بَيْنَكُمْ فِي الْحُكْمِ إِذَا تَحَاكَمْتُمْ إِلَيَّ وَرَفَعْتُمْ قَضَايَاكُمْ إِلَيَّ، فَإِنَّ الْعَدْلَ شَرِيعَةُ اللهِ تَعَالَى، وَاللهُ تَعَالَى وَحْدَهُ هُوَ خَالِقُنَا وَالْمَنْعُمُ عَلَيْنَا وَعَلَيْكُمْ بِالنَّعْمِ الَّتِي لَا تُحْصَى، وَلَنَا أَعْمَالُنَا الَّتِي سَيُحَاسِبُنَا اللهُ عَلَيْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَكُمْ أَنْتُمْ أَعْمَالُكُمْ الَّتِي سَتُحَاسِبُونَ عَلَيْهَا، فَنَحْنُ لَا نُسْأَلُ عَنْ أَعْمَالِكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تَسْأَلُونَ عَنْ أَعْمَالِنَا فَلَا دَاعِيَ إِلَى الْجِدَالِ وَالْخُصُومَةِ مَعَكُمْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ مِنَ الْيَهُودِ وَالنَّصَارَى لِأَنَّكُمْ تَعَانِدُونَ وَتُكَابِرُونَ، وَاللهُ يَجْمَعُ بَيْنَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِفِصْلِ الْقَضَاءِ، وَإِلَيْهِ الْمَرْجِعُ وَالْمَأْبُ فَيُجَازِي كُلَّ أَحَدٍ بِعَمَلِهِ مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، قَالَ الْعُلَمَاءُ: وَالْغَرَضُ أَنَّ الْحَقَّ قَدْ ظَهَرَ، وَالْحُجَجُ قَدْ قَامَتْ، فَلَمْ يَبْقَ

إِلَّا الْعِنَادُ، وَبَعْدَ الْعِنَادِ لَا حِجَّةَ وَلَا جَدَلَ، وَاللَّهُ تَعَالَى يَفْضُلُ بَيْنَ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْمَعَادِ وَيُجَازِي
كَلًّا بَعْمَلِهِ.

وَهَذِهِ الْآيَةُ الْكَرِيمَةُ قَدْ جَاءَتْ بِأَسْمَى أَلْوَانِ الدَّعْوَةِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ
الْحَسَنَةِ.

من هداية الآيات :

- ١- دِينُ اللَّهِ وَاحِدٌ وَهُوَ الْإِيمَانُ وَالِاسْتِقَامَةُ عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ وَطَاعَةِ رَسُولِهِ ﷺ.
- ٢- حُرْمَةُ الْاِخْتِلَافِ فِي دِينِ اللَّهِ تَعَالَى، لِأَنَّهُ سَبَبٌ لَضِياعِ الدِّينِ كُلِّهِ أَوْ بَعْضِهِ.
- ٣- سَبَبُ التَّفَرُّقِ فِي الدِّينِ الْحَسَدُ وَالْبَغْيُ بَيْنَ النَّاسِ.
- ٤- وَجُوبُ الدَّعْوَةِ إِلَى الْإِسْلَامِ بَيْنَ أُمَّمِ الْعَالَمِ إِذْ لَا نَجَاةَ لِلْبَشَرِيَّةِ إِلَّا بِالْإِسْلَامِ.

لطف الله تعالى بعباده

الآيات (١٦-٢٠) من سورة الشورى

قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُحَاجُّونَ فِي اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا اسْتُجِيبَ لَهُ، حُجَّتْهُمْ دَاحِضَةٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿١٦﴾ اللَّهُ الَّذِي أَنْزَلَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ وَالْمِيزَانَ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ ﴿١٧﴾ يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا وَيَعْلَمُونَ أَنَّهَا الْحَقُّ أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يُمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ ﴿١٨﴾ اللَّهُ لَطِيفٌ بِعِبَادِهِ، يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ ﴿١٩﴾ مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الْآخِرَةِ نَزِدْ لَهُ، فِي حَرْثِهِ، وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرْثَ الدُّنْيَا نُؤْتِهِ، مِنْهَا وَمَا لَهُ، فِي الْآخِرَةِ مِنْ نَصِيبٍ ﴿٢٠﴾

معاني المفردات :

اللفظ	المعنى
يُحَاجُّونَ	يجادلون ويخاصمون
دَاحِضَةٌ	زائلة وباطلة
يُمَارُونَ	يشككون
حَرْثَ الْآخِرَةِ	ثواب الآخرة

المعنى الإجمالي :

سبب نزول الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَحَابُونَ فِي اللَّهِ﴾

قال ابن عباس ومجاهد: نزلت في طائفة من بني إسرائيل همّت برّد الناس عن الإسلام وإضلالهم فقالوا: كتابنا قبل كتابكم ونبينا قبل نبيكم فديننا أفضل من دينكم، فنحن أولى بالله تعالى منكم^(١).

محاولات صدّ الناس عن الإسلام :

تبين الآيات الكريمة محاولات أهل الباطل في الصدّ عن دين الله تعالى بأمر منها:

١- أنهم يجادلون في دين الله من بعد ما استجاب الناس لدعوته الواضحة وأسلموا، فهؤلاء المرتابون المجادلون حجّتهم باطلة وزائلة عند الله تعالى، وعليهم غضب في الدنيا، ولهم عذاب أليم ينتظرهم يوم القيامة.

٢- التشكيك في كتاب الله تعالى، فقد بين تعالى أن الكفار في شك من القرآن فأخبر الله سبحانه أنه أنزل القرآن وسائر الكتب السماوية مشتملة على الصدق والحق في أحكامها وتشريعاتها وأخبارها، وأنزل الله تعالى العدل أيضاً؛ ليقضي بين الناس بالإنصاف دون ظلم أو جور، والله تعالى يأمركم باتباع الكتاب والمواظبة على العدل قبل أن يفاجئكم اليوم الذي يحاسبكم ويزن أعمالكم فيه وما يعلمك أيها النبي الكريم لعل وقت قيام

(١) رواه الطبري.

القيامة قريباً! قال تعالى ﴿يَسْأَلُكَ النَّاسُ عَنِ السَّاعَةِ قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ
السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا﴾ (٦٣) (١)، وَسُمِّيَ الْعَدْلُ مِيزَانًا لِأَنَّ الْمِيزَانَ يَحْصُلُ بِهِ الْعَدْلُ.

٣- التشكيك بالساعة والاستهزاء بها جاءت هذه الآية توضح موقف الناس من أمر الساعة
وحقيقة إيمانهم بها، حيث يستعجل بيوم القيامة المشركون الذين لا يصدقون به فيقولون
على سبيل الاستهزاء والسخرية: متى تقوم الساعة؟ وأما المؤمنون المصدقون بها فهم
يعلمون أنها كائنة وحاصلة لا محالة لذلك هم خائفون وجلون، لأنهم لا يدرون ولا
يعلمون إلى ما هم صائرون إليه من سعادة أو شقاء، ويبيِّن الله تعالى أن الذين يجادلون
ويشككون في أمر وقوع الساعة لفي ضلال بعيد عن الحق والهدى.

لطف الله تعالى بالعباد :

يخبرُ الله تعالى عن لطفه بعباده ليعرفوه، ويحبُّوه ويتعرضوا للطفه وكرمه، ومن دلائل
ذلك ما يلي:

١- هدايته لِعَبْدِهِ الْمُؤْمِنِ إِلَى الْخَيْرِ هِدَايَةً لَا تَخْطُرُ بِإِلَهِهِ، بِمَا يُيسِّرُ لَهُ مِنَ الْأَسْبَابِ الدَّاعِيَةِ إِلَى
ذَلِكَ.

٢- كثرة إحسانه إلى الخلق جميعاً مؤمنهم وكافرهم برهم وفاجرهم فهو يرزقهم ويطعمهم
ويسقيهم ولا يهلكهم بذنوبهم، وهو سبحانه القويُّ القادرُ الذي لا يعجزُ، العزيزُ الغالبُ
الذي لا يقهرُ.

(١) سورة الأحزاب: ٦٣.

الثواب على قدر النية :

ثم تُشير الآيات إلى أن الإنسان ما دام في هذه الحياة فعليه أن يسعى في طلب الخيرات حتى تتحقق له أسباب السعادة، فمن أراد من العباد بعمله ثواب الآخرة ونعيمها ورجاء رحمة ربه تعالى وحسن جزائه، يزدّه الله تعالى ويضاعف له أجر عمله فالحسنة بعشر أمثالها إلى سبعمائة ضعفٍ إلى أكثر من ذلك لمن يشاء، ومن كان يطلب بعمله متاع الحياة الدنيا وزخرفها يؤتّه من ذلك حسبما قسم الله له وقدر في الدنيا، وليس له في الآخرة حظ من الثواب والنعيم لأنه لم يعمل لها، قال تعالى: ﴿وَمَنْ يُرِدْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ نُؤْتِهِ مِنْهَا وَسَنَجْزِي الشَّاكِرِينَ﴾ (١)، فأشارت الآية الكريمة إلى جزاء طالب الآخرة ولم تُشر إلى جزاء طالب الدنيا للتبويه بعظم أجره في الآخرة والاستهانة بأجر الدنيا مهما كبر.

وفي هذا التوجيه حث على إخلاص النية، فقد أكد النبي ﷺ على مكانة النية فقال: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ» (٢).

من هداية الآيات :

١- الحكمة من إنزال الكتاب والميزان ليحتكم الناس إليهما في معاشهم ومعادهم.

٢- الله تعالى لطيفٌ بعباده فله الحمد وله الشكر.

٣- وجوب إصلاح النية والحث والتشويق لعمل الآخرة.

(١) سورة آل عمران: ٤٥.

(٢) رواه البخاري.

جزاء المؤمنين وعقاب الظالمين الآيات (٢١-٢٢) من سورة الشورى

قال تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ وَلَوْلَا كَلِمَةُ الْفَصْلِ لَفُضِيَ بَيْنَهُمْ وَإِنَّ الظَّالِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢١﴾ تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ وَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي رَوْضَاتِ الْجَنَّاتِ لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ ﴿٢٢﴾

معاني المفردات :

اللفظ	المعنى
شُرَكَاءُ	شياطينُ الإنسِ والجنِ
يَأْذَنْ	يأمرُ
مُشْفِقِينَ	خائفين
كَسَبُوا	فعلوا

المعنى الإجمالي :

وعيدٌ شديدٌ من الله تعالى للمشركين :

يتوعدُّ الله تعالى المشركين الذين اتخذوا عبادة الأوثان ديناً وأعرضوا عن دين الله تعالى

الذي أوصى به نوحاً وأوحاهُ إلى محمّدٍ ﷺ خاتمِ رسلِهِ، كما أوصى به إبراهيم وموسى وعيسى ﷺ، فوبّخهم الله تعالى بقوله: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ وأنكر عليهم ما هم عليه من العقائد الفاسدة، ولولا أن الله تعالى قضى وحكم بتأخير العذاب إلى أجل مسمى وهو يوم القيامة لفصل بين المشركين والمؤمنين، ولعجل العقوبة للظالمين وأثاب المؤمنين، وإنّ لهؤلاء المشركين الذين ظلموا أنفسهم بالكفر عذابٌ موجع مؤلم في الآخرة، والاستفهام في قوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ﴾ إنكارٌ، الغرض منه إنكار هذا الواقع وتوبيخهم عليه.

والظالم إما أن يظلم غيره، وإما أن يظلم نفسه، وظلم الإنسان لنفسه يكون بالكفر والمعاصي، بحيث يُعرضها للعقوبة، ويحرمها من الثواب والنعيم، والشرك أشنع أنواع الظلم قال تعالى: ﴿إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ (١٣) (١).

رعب الكافرين واطمئنان المؤمنين يوم القيامة :

ثم تُصوّر الآية مشهداً من أحوال الناس يوم القيامة فترى - أيها العاقل - يوم القيامة الكافرين الظالمين أذلاء صاغرين خائفين خوفاً شديداً؛ بسبب ما فعلوا من المعاصي واقترفوا من المظالم وعلى رأسها الكفر وهذا الذعر الشديد لن ينفعهم، فإنّ العذاب نازل بهم لا محالة.

وفي المقابل يكون المؤمنون مستقرين في أطيب بقاع الجنات وأعلى منازلها لهم فيها ما

(١) سورة لقمان: ١٣.

يشتَهونَ من المَلذَّاتِ، ففي الحديثِ القدسيِّ قالَ اللهُ ﷻ: «أَعَدَدْتُ لِعِبَادِي الصَّالِحِينَ ما لا عَيْنٌ رَأَتْ وَلَا أُذُنٌ سَمِعَتْ وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبِ بَشَرٍ»^(١)، وهذا النعيمُ الذي يعيشُهُ أهلُ الجَنَّةِ هوَ الفضلُ الذي لا يُقدَّرُ قَدْرَهُ ولا يَبْلُغُ وصفَهُ أحدٌ.

والإنسانُ منّا حينَ يتأملُ هذا النعيمَ الدائمَ المقيمَ الذي أعدَّهُ الحقُّ سبحانه لِعِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ تهونُ وتسهلُ عليه كلُّ مشاقِّ الطاعةِ والعبادةِ، ويرى أنها يسيرةٌ مقابلَ الجزاءِ العظيمِ المترتبِ عليها، قالَ تعالى: ﴿وَبَشِّرِ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ كُلَّمَا رُزِقُوا مِنْهَا مِنْ ثَمَرَةٍ رِزْقًا قَالُوا هَذَا الَّذِي رُزِقْنَا مِنْ قَبْلُ وَأَتُوا بِهِ مُتَشَبِهًا وَلَهُمْ فِيهَا أَزْوَاجٌ مُطَهَّرَةٌ وَهُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾^(٢).

من هداية الآيات :

- ١- الله تعالى هو المشرِّعُ.
- ٢- الشركُ ظلمٌ عظيمٌ.
- ٣- خوفُ المشركين يومَ القيامة لا يَمْنَعُهُم من العذابِ.
- ٤- عاقبةُ الإيمانِ والعملِ الصالحِ روضاتُ الجنَّاتِ.
- ٥- نعيمُ الجنةِ دائمٌ لا ينقطعُ.

(١) رواه البخاري ومسلم.

(٢) سورة البقرة: ٢٥

أثر العمل الصالح

الآيات (٢٣-٢٦) من سورة الشورى

قال تعالى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْتَرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٢٣﴾ أَمْ يَقُولُونَ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَإِن يَشَأِ اللَّهُ يَخْتِمْ عَلَىٰ قَلْبِكَ وَيَمْحُ اللَّهُ الْبَاطِلَ وَيُحِقُّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ ﴿٢٤﴾ وَهُوَ الَّذِي يَقْبَلُ التَّوْبَةَ عَن عِبَادِهِ وَيَعْفُو عَنِ السَّيِّئَاتِ وَيَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ ﴿٢٥﴾ وَاسْتَجِبْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَيَزِدْهُمْ مِّن فَضْلِهِ ؕ وَالْكَافِرُونَ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ ﴿٢٦﴾﴾

معاني المفردات :

اللفظ	المعنى
يَقْتَرِفُ	يَكْتَسِبُ
يَخْتِمُ	يَطْمِسُ
التَّوْبَةَ	الرجوع عن المعاصي والندم عليها

المعنى الإجمالي :

تأكيد حق القرابة :

بعد أن ذكر الله تعالى في الآيات السابقة ما أعد للمؤمنين في أطيب أماكن الجنات - بين

هنا أن ذلك الفضل الكبير، هو البشارة العظمى والعطاء الجزيل، الذي يمنحه الله تعالى يوم القيامة لعباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات.

ثم أمر الله تعالى نبيه ﷺ أن يبلغ مشركي قريش، أنني لا أسألكم على التبليغ أجراً، لكن أسألكم أن تودوني لقرايتي فيكم، فتكفؤا عني أذاكم، وتمنعوا عني أذى غيركم، وتستجيبوا لدعوتي، فإن صلة القرابة والرحم التي بيني وبينكم توجب عليكم ذلك، ويدخل في مودة النبي ﷺ مودة قرابته من أهل بيته.

فائدة: جميع الأنبياء الذين بعثوا في قرون متباعدة وأقوام مختلفة كان منهم واحداً بقولهم يا أيها الناس لا نسألكم أي أجر أو مال لقاء تبليغنا إياكم رسالة الله تعالى ولقاء ما نتحمّله من جهدٍ ومتاعبٍ ومشقةٍ لأن أجرنا على رب العالمين، قال تعالى: ﴿وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ (١٠٩). ثم بين سبحانه جانباً من مظاهر فضله على عباده، فمن يكتسب حسنةً يتغي بها التقرب إلى الله تعالى، نضاعف له - بفضلنا وإحساننا - ثوابها، والله سبحانه واسع المغفرة يستر عيوب عباده ويغفر لهم إذا تابوا، وهو عظيم الشكر للطائعين يوفيهم حقهم من الثواب ويعطيهم من فضله أكثر مما يستحقون ويرجون.

عن ابن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه تبارك وتعالى قال: «إن الله كتب الحسنات والسيئات ثم بين ذلك، فمن هم بحسنة فلم يعملها كتبت الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبت الله عنده عشر حسنات إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، وإن هم بسيئة فلم يعملها كتبت الله عنده حسنة كاملة، وإن هم بها فعملها كتبت الله سيئة واحدة» (٢).

(١) سورة الشعراء: ١٠٩.

(٢) رواه البخاري ومسلم.

ادعاءات المشركين والرد عليها :

انتقلت الآيات إلى توبيخ الكافرين على كذبهم وعنادهم، فبينت افتراءهم على النبي ﷺ وادعاءهم أنه أتى بالقرآن من نفسه، بل يقولون أن محمداً قد افترى واختلق على الله تعالى الكذب فيما يدعوننا إليه، وفيما يتلوهُ علينا من قرآن.

وأجاب سبحانه عن افتراءهم هذا ومخاطباً النبي ﷺ بقوله: ﴿فَإِنْ يَشَأْ اللَّهُ يُخْتِمْ عَلَى قَلْبِكَ﴾ أي: إن حدث منك أن افتريت القرآن وجئت به من عند نفسك، فالله تعالى قادرٌ أن يطبع ويطمس على قلبك - يا محمد - فينسيك هذا القرآن، ويسلبه من صدرك، ولكنك لم تفتري على الله تعالى كذباً ولهذا أيدك وسدّدك ونصرَكَ، ومثل محمّد ﷺ لا يُنسب إلى الكذب على الله مع اعترافكم له من قبل بالصدق والأمانة.

ومن سنن الله تعالى أنه يزيل الباطل بقدرته وحكمته ويثبت الحق ويحقّقه برهانه وآياته وحججه كما قال تعالى: ﴿بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ وَلَكُمُ الْوَيْلُ مِمَّا نَصِفُونَ﴾ (١٨)، والله تعالى مطلعٌ على ما تخفيه الصدور من أسرار ونوايا، لا يخفى عليه شيءٌ في الأرض ولا في السماء، وسيجازي كل إنسان بما يستحقّه من خيرٍ أو شرٍ.

التوبة الصادقة تُبدّل الذنوب حسنات :

يمتنُّ الله تعالى على العباد بقبول التوبة منهم إذا أقلعوا عن المعاصي وأنابوا بصدق وإخلاص نيّة، ويصفح عن الذنوب صغيرها وكبيرها لمن يشاء وهو سبحانه يعلم جميع الذي تصنعون من

(١) سورة الأنبياء: ١٨

خير أو شرًّا، ومن فضله أنه يُحوّل الذنوب إلى حسناتٍ، كما قال تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ تَابَ وَءَامَنَ

وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ ۗ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا ۗ﴾^(١).

والتوبة واجبةٌ من كلِّ ذنبٍ، فإن كان معصيةً بين العبدِ وربِّه فلها ثلاثة شروط:

١- الإقلاعُ عن المعصية.

٢- والندمُ على فعلها.

٣- والعزمُ على عدم العودة إليها.

أمَّا إن كانت تتعلق بحقوق العباد فيجب أن يتبرأ من حقِّ صاحبها إن كانت المعصية تتعلق بحق آدمي.

ويستجيبُ اللهُ تعالى دعاءَ المؤمنين لأنفسِهِمْ ولإخوانِهِمْ، ويزيدهم من جوده وكرمه؛ لأنه الجوادُ الكريمُ، البرُّ الرحيمُ، وأما الكافرون بالله تعالى فلهم عذابٌ أليم في دار الجحيم.

من هداية الآيات :

١- تقريرُ حقِّ القرابةِ ووجوبِ المودةِ فيها.

٢- احترامُ قرابةِ الرسولِ ﷺ وتقديرُها.

٣- تبرئةُ رسولِ الله ﷺ من الافتراءِ على اللهِ ﷻ.

٤- من فضلِ اللهِ تعالى على عباده المؤمنين مضاعفةُ الحسناتِ.

٥- وجوبُ التوبةِ النصوحِ وقبولِ اللهِ تعالى لها.

٦- وعدُ اللهِ تعالى باستجابةِ دعاءِ المؤمنين العاملين للصالحاتِ.

(١) سورة الفرقان: ٧٠

من دلائل عظمة الخالق وحكمته

الآيات (٢٧-٣١) من سورة الشورى

قال تعالى: ﴿وَلَوْ بَسَطَ اللَّهُ الرِّزْقَ لِعِبَادِهِ لَبَعَوْا فِي الْأَرْضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٍ مَّا يَشَاءُ إِنَّهُ بِعِبَادِهِ خَبِيرٌ بَصِيرٌ ﴿٢٧﴾ وَهُوَ الَّذِي يُنَزِّلُ الْغَيْثَ مِنْ بَعْدِ مَا قَنَطُوا وَيَنْشُرُ رَحْمَتَهُ وَهُوَ الْوَلِيُّ الْحَمِيدُ ﴿٢٨﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِنْ دَابَّةٍ وَهُوَ عَلَىٰ جَمْعِهِمْ إِذَا يَشَاءُ قَدِيرٌ ﴿٢٩﴾ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴿٣٠﴾ وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٣١﴾﴾

معاني المفردات :

المعنى	اللفظ
لطفوا وتكبروا	لَبَعَوْا
يئسوا	قَنَطُوا
فرق ونشر	بَثَّ

المعنى الإجمالي :

تقدير الرزقِ حكمةً من الله تعالى :

يبيِّنُ اللهُ ﷻ جانباً من حكمته في تقدير أرزاق العباد، فلو وسَّعَ ﷻ الرزق لعباده

جميعاً توسعةً فوق حاجتهم، لتجاوزوا حدودهم، وتكبروا وطغوا وعتوا وظلم بعضهم بعضاً وترتب على ذلك فسادٌ كبيرٌ في الأرضٍ قد تتعطل معه الحياةُ بكاملها، كما أنهم قد يتركون الشكر لله تعالى، ويقولون ما قاله قارونُ كما حكاه الله تعالى عنه ﴿قَالَ إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ عَلَىٰ عِلْمٍ عِنْدِي﴾: (١) لَذَا أَنْزَلَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمُ الرِّزْقَ بِتَقْدِيرٍ مُّحَدَّدٍ اِقْتَضَتْهُ حِكْمَتُهُ وَمَشِيئَتُهُ، قَالَ تَعَالَى ﴿وَإِنْ مِّنْ شَيْءٍ إِلَّا عِنْدَنَا خَزَائِنُهُ وَمَا نُنزِّلُهُ إِلَّا بِقَدَرٍ مَّعْلُومٍ﴾ (٢) والله تعالى خبيرٌ بأحوال عبادِهِ، وبخفايا نفوسهم، بصيرٌ بما يقولونه وبما يفعلونه.

الغيث رحمة من الله ﷻ للعباد :

ثم ساق سبحانه بعد ذلك ألواناً من نعمه على عباده، وكلها تدلُّ على وحدانيته وكمال قدرته وعظيم حكمته، فهو سبحانه الذي ينزل المطر على عباده، من بعد ما انتظره فترةً طويلةً حتى ظهرت على ملامحهم علامات اليأس، وبدت على وجوههم أمارات القنوط، فينشر رحمته عليهم عن طريق ما ينتج عن هذه الأمطار من خيرات وأرزاق وهذا يشعر بقرب الله - تعالى - من عباده، ووجوب شكره على ما أعطى بعد المنع، وعلى ما فرج بعد الضيق.

عظمة الله تعالى في خلق السماوات والأرض :

بعد أن بين الله تعالى آلاءه ونعمه على عباده ذكر سبحانه مظاهر قدرته ودلائل عظمته

(١) سورة القصص: ٧٨

(٢) سورة الحجر: ٢١

وقوته، فمن آياته الدالة على سلطانه القاهر خلق السماوات والأرض على ما هما عليه من الصنع البديع والنظام المتقن، ومن آياته أيضاً ما نشر وفرق في السماوات والأرض من دابة وهي تشمل الملائكة والجن والإنس وسائر الحيوانات على اختلاف ألوانها وأشكالها ولغاتهما وأجناسها وأنواعها وقد فرقهم في أرجاء السماوات ونشرهم في أنحاء الأرض، وسبحان الذي خلق ما نعلم وما لا نعلم من أصناف الخلق، وهو سبحانه قادر على جمع الخلائق يوم القيامة للحساب والجزاء في أي وقت شاء، كما قال تعالى: ﴿ قُلِ إِنَّ الْأَوَّلِينَ وَالْآخِرِينَ لَمَجْمُوعُونَ إِلَىٰ مِيقَاتِ يَوْمٍ مَّعْلُومٍ ﴾ (١).

المعاصي سبب المصائب :

قال تعالى: ﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِّنْ مُّصِيبَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ ﴾ بين سبحانه أن ما أصابكم أيها الناس من مصيبة من مصائب الدنيا كالمرض والفقر والضيقة والخوف وسائر النكبات فبسبب معاصيكم وذنوبكم التي فعلتموها بأنفسكم، ويصفح الله تعالى عن كثير من الذنوب فلا يعاقبكم عليها فالله سُبْحَانَهُ جعل ذنوب المؤمنين صنفين: صنف كفره عنهم بالمصائب، وصنف عفا عنهم في الدنيا، وهو كريم لا يرجع في عفوه، فهذه سنة الله مع المؤمنين. وعبر الله - تعالى - بالأيدي لأن مرد كثير من الأفعال إليها.

العزة باللجوء إلى الله تعالى :

ثم بين سُبْحَانَهُ مظهراً آخر من مظاهر قدرة الله وعلمه وحكمته هو أن الناس مقهورون لله

(١) سورة الواقعة: ٤٩ - ٥٠.

تعالى فمهما أوتوا من قوةٍ وتديبيرٍ وعلمٍ ومعرفةٍ لم ولن يُعجزوا اللهَ تعالى، إنْ يشأ سبحانه
يخسفُ الأرضَ من تحتهم أو يسقطُ السماءَ كسفاً من فوقهم، فإلى أين المهربُ؟ والجوابُ:
إلى اللهِ تعالى فقطً بالاستسلامِ له والانقيادِ بالطاعة، وفي ذلك نجاتهم وعزُّهم وكرامتهم في
الدنيا والآخرة، وليسَ لكم أيها الناسُ معَ عجزكم من وليٍّ يتولاكم ولا ناصرٍ ينصركم، إذاً
ففرُّوا إلى اللهِ بالإيمانِ به والإسلامِ له تنجوا وتسعدوا.

من هداية الآيات :

- ١- بيان الحكمة في تقدير الأرزاق وإعطائها بمقاديرٍ محددة.
- ٢- إنزال الغيث بعد اليأس والقنوط من مظاهر ربوبية الله تعالى.
- ٣- ما من مصيبةٍ تصيبُ المرءَ في نفسه أو ولده أو ماله إلا بذنب ارتكبه.
- ٤- من الذنوب ما يعفو الله تعالى عنه ولا يؤاخذ به تكراً وإحساناً.

من مظاهر حكمة الله تعالى في خلقه

الآيات (٣٢ - ٣٦) من سورة الشورى

قال تعالى ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ الْجَوَارِ فِي الْبَحْرِ كَالْأَعْلَامِ ۝٣٢﴾ إِنَّ يَسَاءَ يَسْكِنِ الرِّيحَ فَيَظْلَلْنَ رَوَاكِدَ عَلَى ظَهْرِهِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ ۝٣٣﴾ أَوْ يُوبِقَهُنَّ يَمَّا كَسَبُوا وَيَعْفُ عَنْ كَثِيرٍ ۝٣٤﴾ وَيَعْلَمَ الَّذِينَ يُجَادِلُونَ فِي آيَاتِنَا مَا لَهُمْ مِنْ مَّحِيصٍ ۝٣٥﴾ فَمَا أُوتِيتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَمُنْعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ وَأَبْقَى لِلَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۝٣٦﴾

معاني المفردات :

المعنى	اللفظ
السفن	الْجَوَارِ
كالجبال	كَالْأَعْلَامِ
يهلكهنَّ	يُوبِقَهُنَّ
مَهْرَبٍ وَّمَلْجَأٍ	مَّحِيصٍ

المعنى الإجمالي :

السفنُ الجاريةُ دليلٌ على عظمةِ اللهِ وقدرتهِ :

ومن آياتِ اللهِ تعالى الدالةِ على قدرتهِ الباهرةِ وسلطانهِ القاهرِ السفنُ الجاريةُ في البحرِ

كالجبال الشاهقة في عظيمها، سخرها الله تعالى في البحر بأمره لخدمة الإنسان وقضاء مصالحه، وأجراها بقدرته ليسهل انتقال الناس من مكان إلى آخر، فتروج التجارة ويتبادل الناس المنافع وتزدهر الحضارة.

ثم بين الله تعالى أنه إن يشأ يسكن الريح ويمنع حركتها فلا تهب، وتظل السفن سواكن وثوابت على ظهر الماء لا تتحرك ولا تجري بالناس إلى مقاصدهم.

إن في هذه المظاهر من خلق البحار وتسخيرها وسير السفن عليها وركودها عند سكون الريح لدلالات عظيمة واضحة على قدرة الله تعالى ليعتبر بها المؤمنون الصابرون في الضراء الشاكرون في السراء.

وقوله تعالى: ﴿أَوْ يُوبِقَهُنَّ يَمَّا كَسَبُوا﴾ معطوف على (يسكن) والمعنى: إن يشأ الله تعالى يبتل المسافرين في البحر بإحدى مصيبتين، إما أن يسكن الريح فتركد السفن على ظهر البحر ويمنعن من الجري، وإما أن يرسل الريح عاصفة فتهلك السفن إغراقاً؛ بسبب ما كسب أهلها من الذنوب، ويتجاوز الله تعالى عن كثير من الذنوب فينجيهم من الهلاك ولا يعاقبهم بما سبق.

وليعلم المشركون الذين يجادلون في آيات الله بالباطل ويشككون الناس فيها، أنهم تحت قبضته مالهم من مهرب من عذابه وبطشه ولا محيد عن عقابه وبأسه، حتى إذا توسطوا البحر وغشيتهم الرياح من كل مكان عرفوا أنه لا ملجأ لهم سوى الله تعالى، ولا دافع لهم إن أراد الله إهلاكهم فيخلصون له العبادة. قال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي يُسَيِّرُكُمْ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ حَتَّىٰ إِذَا كُنْتُمْ

فِي الْفَلَكَ وَجَرِينَ بِهِمْ بِرِيحٍ طَيِّبَةٍ وَفَرِحُوا بِهَا جَاءَتْهَا رِيحٌ عَاصِفٌ وَجَاءَهُمُ الْمَوْجُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ
وَوَظَنُوا أَنَّهُمْ أُحِيطَ بِهِمْ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنِ أُنجَيْتَنَا مِنْ هَذِهِ لَنَكُونَنَّ مِنَ الشَّاكِرِينَ
﴿٢٢﴾ فَلَمَّا أُنجَيْتَهُمْ إِذَا هُمْ يَبْتَغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ يَأْتِيهَا النَّاسُ إِنَّمَا بِغَيْرِكُمْ عَلَىٰ أَنْفُسِكُمْ مَتَّعَ
الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُكُمْ فَنُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٣﴾ (١).

متاع الدنيا قليل والآخرة خير وأبقى :

يقولُ تعالى محقراً لشأن الحياة الدنيا وزينتها، وما فيها من النعيم الفاني، أَنَّ مَا أُعْطِيتُمْ
وَنَلِيتُمْ أَيُّهَا النَّاسُ مِنْ زَخَارِفِ الدُّنْيَا وَجَمَعْتُمْ مِنْ أَمْوَالٍ، وَرَزَقْتُمْ مِنْ بَيْنِ فَلَ تَغْتَرُّوا بِهِ، فَإِنَّمَا
هِيَ دَارٌ فَانِيَةٌ وَمَتَاعٌ زَائِلٌ.

وما عند الله تعالى من ثواب الآخرة ونعيمها خيرٌ من الدنيا، وأبقى زماناً حيث لا يزولُ
ولا يفنى، وهذا النعيمُ قد أعدَّه اللهُ سبحانه للذين آمنوا وصبروا على تركِ ملذاتِ الدنيا،
واعتمدوا على خالقهم وربهم في كلِّ الأمور والأحوال.

فائدة في معنى التوكل والتوكل :

التوكلُ: هو الاعتمادُ على الله تعالى والثقة بقدرته مع أخذِ الأسباب.

وأما التوكلُ: فهو عدمُ الأخذِ بالأسبابِ كالتعودِ عن طلبِ الرزقِ مع ادعاءِ التوكلِ
على الله تعالى.

(١) سورة يونس: ٢٢ - ٢٣

والإسلامُ يقرُّ التَّوَكُّلَ ويرضَى عنه ويدعو إليه وقد بيَّن اللهُ تعالى أنه من صفاتِ المؤمنينَ،
وأما التَّوَاكُلُ فهوَ عَجْزٌ وَكَسَلٌ فلا يقرُّهُ الإسلامُ ولا يرضاهُ، لأنَّ اللهَ أمرَ بالأخذِ بالأسبابِ في
كتابه العزيزِ وسنةِ نبيِّه الكريمِ.

- اعقلها تعني اربطها.

من هداية الآيات :

- ١- السفنُ الجاريةُ والرياحُ من مظاهرِ ربوبيةِ اللهِ تعالى.
- ٢- فضلُ الصبرِ والشكرِ وفضيلةُ الصابرينَ الشاكرينَ.
- ٣- تقريرُ قاعدةٍ ما من مصيبةٍ إلا بذنبٍ مع عفوِ اللهِ عن كثيرٍ.
- ٤- متاع الحياة الدنيا إذا قُوبِلَ بما أعدَّه اللهُ تعالى للمؤمنينَ المتقينَ لا يُعدُّ شيئاً يذكرُ أبداً.

من صفات المؤمنين في القرآن

الآيات (٣٧ - ٤٣) من سورة الشورى

قال تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ يَحْنَبُونَ كِبِيرَ الْأَيْمِ وَالْفَوْحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ ﴾ (٣٧) وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٣٨) وَالَّذِينَ إِذَا أَصَابَهُمُ الْبَغْيُ هُمْ يَنْصُرُونَ ﴾ (٣٩) وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ﴾ (٤٠) وَلَمَنْ أَنْصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولَئِكَ مَا عَلَيْهِمْ مِنْ سَبِيلٍ ﴾ (٤١) إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴾ (٤٢) وَلَمَنْ صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَلِكَ لَمِنْ عَزْمِ الْأُمُورِ ﴾ (٤٣)

معاني المفردات :

المعنى	اللفظ
الظلم والعدوان	الْبَغْيُ
صفح عمن أساء إليه	عَفَا
مؤاخظة ولوم	سَبِيلٍ

المعنى الإجمالي :

صفات المؤمنين المتقين

بعد أن ذكرَ اللهُ تعالى ما أعدَّهُ من ثوابٍ في الآخرة، شرَّعَ في ذكرِ صفاتِ هؤلاءِ المؤمنينِ المستحقينَ لهذا الثوابِ وهي كالتالي:-

١- الذينَ يتعدونَ عن ارتكابِ كبائرِ الإثمِ وهي الذنوبُ الكبيرةُ التي توعدَّ اللهُ تعالى فاعلها وجعلَ لها عقوبةً كقتلِ النفسِ، وتعاطيِ الربا، والشركِ والظلمِ وشربِ الخمرِ وأكلِ الحرامِ، ويجتنبونَ كذلكِ الفواحشَ وهي كلُّ ما عظمَ قبْحُه وفحْشُه من الذنوبِ، قالَ تعالى ﴿وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَى إِنَّهُ كَانَ فَحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا﴾^(١) ومن فضلِ اللهِ تعالى أنَّ اجتنابَ الكبائرِ يُوَدِّي إلى غفرانِ صغارِ الذنوبِ.

٢- يتجاوزونَ عَمَّنْ أغضبهم، ويصفحونَ عنه، ويغفرونَ له زلَّته أو إساءته إليهم.

٣- ينقادونَ لله تعالى في كلِّ ما يأمرهم به أو ينهاهم عنه، ومقصدُهم رضوانه، وغايتُهم الفوزُ بقربه.

٤- يحافظونَ على الصلاةِ، ويؤدونها في أوقاتها بخشوعٍ وإخلاصٍ لله ربِّ العالمين.

٥- يتشاورونَ ويتجمعونَ فيما هو أنفعُ وأصلحُ لهم من أمورِ دينهم ودنياهم، وقد كانَ الرسولُ ﷺ يستشيرُ أصحابه في الأمورِ الدنيويةِ كما حدَّثَ في أحدِ الخندقِ، والصحابة كانوا يتشاورونَ في الأحكامِ، فقد تشاوروا في الخلافةِ بعد موتِ الرسولِ ﷺ، وفي حروبِ المرتدين.

(١) سورة: الإسراء: ٣٢

٦- يتصدقون مما أعطاهم الله تعالى من الرزق على غيرهم من المحتاجين.

٧- أنهم إذا بغى عليهم باغٍ أو ظلمهم ظالمٌ، فإنهم ينتصرون لدينهم ولكرامتهم، ويقابلون بغيه وعدوانه بما يردعه، والبغى هو مجاوزة الحد في الظلم.

مراتب العقوبات بين الناس العدل والفضل والظلم :

ثم وضح الله تعالى مراتب العقوبات التي يتعامل بها الناس أنها على ثلاث مراتب: عدلٌ وفضلٌ وظلمٌ.

(١) فمرتبة العدل، جزاء السيئة بسيئةٍ مثلها كما قال الله تعالى ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا﴾، لا زيادة ولا نقص، فالنفس بالنفس، وكلُّ جارحةٍ بالجارحةِ المماثلة لها، والمال يُضمنُ بمثله، وهذا يسمى القصاص.

(٢) ومرتبة الفضل وهو العفو عن المسيء أعلى عند الله ﷻ، ولهذا قال الله تعالى: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ وفي جعل أجر العافي على الله تعالى ما يدفع إلى العفو، وأن يعامل العبد الخلق بما يحبُّ أن يعامله الله تعالى به، فكما يحبُّ أن يعفو الله عنه، فليعفُ عنهم، وكما يحبُّ أن يسامحه الله تعالى فليسامحهم، فإنَّ الجزاء من جنسِ العملِ.

(٣) وأما مرتبة الظلم فقد ذكرها الله تعالى بقوله: ﴿إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ﴾ الذين يجنون على غيرهم ابتداءً، أو يقابلون الجاني بأكثر من جنايته، فالزيادة ظلمٌ.

ثم بيّن الله تعالى أنَّ الإنسان إذا انتصر لنفسه ممن ظلمه فلا حرج عليه ولا لوم، لكن اللوم

والمؤاخظة على المعتدين الذين يظلمون الناس ويُفسدون في الأرض، فهؤلاء لهم عذابٌ
موجعٌ شديدٌ مؤلمٌ.

ثمَّ ختم سبحانه هذه الصفاتِ الكريمةَ للمؤمنين فيبين أنَّ للإنسانِ الصابِرِ على الأذى الذي
يصفحُ عمَّن أساءَ إليه، الثوابَ الجزيلَ والعاقبةَ الحسنةَ، لأنَّ الصبرَ والمغفرةَ من الأمورِ التي
تدلُّ على الهمةِ وقوةِ العزيمةِ، قال بعضُ العلماءِ: كرَّر الصبرَ اهتماماً به وترغيباً فيه وللإشارةِ
إلى أنه محمودٌ العاقبةِ.

من هداية الآيات :

- ١- بيان صفات المؤمنين.
- ٢- مشروعية القصاصِ وعقوبة الظالمِ.
- ٣- مراتب العقوباتِ ثلاثٌ عدلٌ وفضلٌ وظلمٌ.
- ٤- فضيلة العفو عن المسلمين إصلاح للمجتمع.

مهانة الكافرين يوم القيامة

الآيات (٤٤ - ٤٦) من سورة الشورى

قال تعالى: ﴿ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَبِئْسَ مَا بَعْدَهُ وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَىٰ مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٤﴾ وَتَرْتَهُمْ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا خَشِيعِينَ مِنَ الدُّلِّ يَنْظُرُونَ مِنْ طَرْفٍ خَفِيٍّ وَقَالَ الَّذِينَ ءَامَنُوا إِنَّ الْخَسِرِينَ الَّذِينَ خَسَرُوا أَنفُسَهُمْ وَأَهْلِيهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَلَا إِنَّ الظَّالِمِينَ فِي عَذَابٍ مُّقِيمٍ ﴿٤٥﴾ وَمَا كَانَتْ لَهُمْ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُنصُرُونَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ سَبِيلٍ ﴿٤٦﴾

معاني المفردات :

المعنى	اللفظ
رجوع	مَرَدٍّ
خاضعين	خَشِيعِينَ
دائم	مُّقِيمٍ

المعنى الإجمالي :

تمنى الكافر الرجوع إلى الدنيا عند معاينة عذاب يوم القيامة :

بعد أن ذكر الله تعالى أصنافاً من كفر المشركين وعنادهم وتكذيبهم، ذكرهم بالآيات الدالة

على انفرادِ تعالى بالألوهية وما أرسله من النعم وحذرهم من الغرورِ بمتاع الدنيا الزائلِ،
 أعقبه بقوله تعالى: ﴿وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ وَلِيٍّ مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي ومن يُبعده الله تعالى ويخذله
 عن طريق الهداية والحق لسوء اختياره، فليس لهذا الضال من ناصرٍ ينصره من بعد الله تعالى،
 وترى - يا محمد - الكافرين حين يشاهدون عذاب الآخرة ويعاينون أهوالها يسألون ربهم
 وهم في ذلة وانكسارٍ: هل من طريقٍ للرجوع إلى الحياة الدنيا حتى نؤمن ونعمل صالحاً غير
 الذي كنّا نعمل؟ وهذا استفهام العاجز الذي لا حيلة له، وما حيلتهم للرجوع وقد عاينوا
 العذاب الذي طالما كذبوه وكفروا به في الدنيا، والله سبحانه يُكذّبهم في هذا الزعم، ففي آية
 أخرى يقول تعالى: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَفُوا عَلَى النَّارِ فَقَالُوا يَلَيْنَا نُرْدُ وَلَا نُكْذِبُ رَبَّنَا وَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ
 ﴿٢٧﴾ بَلْ بَدَأَهُمْ مَا كَانُوا يُخْفُونَ مِنْ قَبْلُ وَلَوْ رُدُّوا لَعَادُوا لِمَا نُهُوا عَنْهُ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ (١).

خسران الكافرين يوم القيامة :

ولما بين الله تعالى كذب ادعاء الكفار أظهر ذلهم وخشوعهم وزيف أبصارهم عندما يُعرضون
 على النار فتراهم صاغرين مما يلحقهم من الذل والهوان يسارقون النظر خوفاً منها وفزعاً كما
 ينظر من قدام ليقتل بالسيف، فإنه لا يقدر أن ينظر إليه بملء عينه، وحينئذ يقول المؤمنون في
 الجنة لما عاينوا ورأوا ما حل بالكفار: إن الخاسرين هم الذين ظلموا أنفسهم بالكفر، وخسروا
 أزواجهم وأولادهم وأقاربهم، وفرّق بينهم وبين أحبائهم، وحرموا النعيم إلى الأبد، ألا إنهم
 لفي عذاب دائم لا ينقطع ولا يتوقف.

(١) سورة: الأنعام: ٢٧ - ٢٨

ليس للظالم من ناصر يوم القيامة :

ثم يخبرُ تعالى بأنه لم يكن لأولئك الظالمين من أعوانٍ ونصراءٍ ينصرونهم من عذابِ الله كما كانوا يرجون ذلك في الدنيا، ومن يضلُّهُ اللهُ فليس له طريقٌ يصلُّ به إلى الحقِّ في الدنيا وإلى الجنة في الآخرة، لأنه قد سُدَّتْ عليه طريقُ النجاةِ، قال ابنُ كثيرٍ: مَنْ يضلُّهُ اللهُ فليس له خلاصٌ.

من هداية الآيات

١- لا أعظم خسراناً ممن يُخلدُ في النارِ ويُحرَّمُ الجنةَ وما فيها من نعيمٍ مقيمٍ.

٢- الكافرُ حينما يشاهدُ العذابَ يتمنى الرجوعَ إلى الدنيا.

٣- مَنْ يضلُّهُ اللهُ تعالى فليس له خلاصٌ.

٤- الكافرُ يسترقُّ النظرَ خوفاً وفزعاً عندما يرى النارَ.

الأمر كله بيد الله ﷻ

الآيات (٤٧ - ٥٠) من سورة الشورى

قال تعالى: ﴿أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدَّ لَهُ مِنْ اللَّهِ مَا لَكُمْ مِنْ مَلَجٍ يَوْمَئِذٍ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَكِيرٍ ﴿٤٧﴾ فَإِنْ أَعْرَضُوا فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا إِنْ عَلَيْكَ إِلَّا الْبَلَاغُ وَإِنَّا إِذَا أَذَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنَّا رَحْمَةً فَرِحَ بِهَا وَإِنْ تُصِيبُهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيَهُمْ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ لِلَّهِ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ يَهْبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنِئْنَا وَبِهِ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ ﴿٤٩﴾ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنثَاءً وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٥٠﴾﴾

معاني المفردات :

المعنى	اللفظ
سارعوا لإجابة ربكم	أَسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ
رقيباً	حَفِيظًا
لا ولد له	عَقِيمًا

المعنى الإجمالي :

الاستعداد ليوم الميعاد :

لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى مَا يَكُونُ فِي يَوْمِ الْقِيَامَةِ مِنَ الْأَهْوَالِ وَالْأُمُورِ الْعِظَامِ الْهَائِلَةِ، حَذَّرَ وَأَمَرَ

بالاستعداد له، وطلب من عباده أن يجيئوه لما طلبه منهم إنقاذاً لأنفسهم من النار فقال: ﴿اسْتَجِيبُوا لِرَبِّكُمْ﴾ أي: سارعوا إلى إجابة خالقكم وبارئكم وذلك بالتوحيد والعبادة من قبل أن تنتهي الحياة التي هي فرصة للعمل، ويأتي يوم القيامة والحساب الذي لا يرده الله تعالى بعد أن قضى به، وليس لكم يومئذ من ملاذ أو حصن يحميكم من العذاب، ولن تقدروا أن تنكروا شيئاً من ذنوبكم؛ لأنها مُدَوَّنةٌ في صحائف أعمالكم.

الرسول ﷺ مبلغ عن ربه :

فإن أعرض المشركون وامتنعوا عن إجابتك والإيمان بدعوتك فلا تحزن عليهم أيها الرسول الكريم، فما أرسلناك عليهم رقيباً، وإنما كلفت بالبلاغ وتأدية الرسالة وقد بلغت وأديت، وهذه تسلية لسيدنا رسول الله ﷺ، لأنه كان دائماً حريصاً على هداية القوم يُحزنه إعراضهم وانصرافهم عن الهدى الذي جاء به، وقد كان يشقُّ على نفسه في هذه المسألة حتى يكاد أن يهلكها، لذلك خاطبه ربه في أكثر من موضوع يُسليه ويُخفف عنه وينهاه أن يُحمّل نفسه فوق طاقتها.

وأن شأن الكافر أو ضعيف الإيمان أنه إذا منحهم الله تعالى نعمة كالصحة والغنى والأمن فرحوا واستبشروا، وإن تصبهم مصيبة من بلاء ومرض وفقير بسبب معاصيهم وما صدر منهم من السيئات فإنهم ينسون النعمة، ويجزعون لنزول البلاء كفراً وجحوداً، إلا من هداه الله تعالى بالإيمان فقد مدحه النبي ﷺ فقال: «عَجَباً لأمر المؤمن إن أمره كله خيرٌ وليس ذلك لأحدٍ إلا للمؤمن إن أصابته سراءٌ شكر فكان خيراً له وإن أصابته ضراءٌ صبر فكان خيراً له»^(١).

(١) رواه مُسلم.

الذريةُ نعمةٌ من الله تعالى :

وبعدَ أن ذكرَ اللهُ تعالى النعمَ وحالَ الناسِ فيها من كُفْرٍ وشكرٍ أتبعَ ذلكَ بذكرِ سلطانهِ على السماواتِ والأرضِ فهوَ وحدَهُ مالِكُهُما وخالقُهُما والمتصرفُ فيهما، يخلقُ ما يشاءُ، فيهبُ لعبادهِ ما يشاءُ فيخصُ بعضهم بالإناثِ فقط، وبعضَهُم بالذكورِ فقط ويتفضلُ ﷻ على مَنْ يشاءُ من عبادهِ بالجمعِ بينَ الذكورِ والإناثِ، ويجعلُ مَنْ يشاءُ عقيماً لا ولدَ له، وهذا كُلهُ يدلُّ على كمالِ قدرتهِ سبحانه، وعلى نفاذِ إرادتهِ وحكمتهِ، إذ أعطى مَنْ يشاءُ إعطاءه بفضلهِ، ومنعَ مَنْ يشاءُ منعه لحكمة يعلمُها، لا رادَّ لقضائه، ولا معقبَ لحكمه، إنَّ اللهَ على كلِّ شيءٍ قديرٌ.

فائدة :

أ- تقديمُ الإناثِ على الذكورِ في الآيةِ لأمرين :

١- لبيانِ أنَّ اللهَ تعالى يُعطي ما يريدُه لا ما يريدُه الناسُ لأنَّ الناسَ تهوى الذكورَ.

٢- تأنيساً وتشريفاً للإناثِ وللتوصيةِ برعايتهنَّ لضعفهنَّ، لاسيَّما أنَّ العربَ كانوا قريبي عهدٍ بالوَادِ في الجاهليةِ.

ب- جاءَ لفظُ الذكورِ معرِّفاً، والإناثِ منكرًا للتنويهِ بمكانةِ الذكورِ في نفوسِ الآباءِ .

من هداية الآيات :

- ١- وجوب الاستجابة لله تعالى في كل ما دعا العبد إليه.
- ٢- على الدعاة إلى الله تعالى إبلاغ مطلوب الله تعالى من عباده، ولا يضربهم بعد ذلك شيء.
- ٣- بيان طبع الإنسان وحاله قبل أن يهذب بالإيمان واليقين والطاعات.
- ٤- لله تعالى مطلق التصرف فلا يصح الاعتراض عليه في شيء فهو يهب ويمنع لحكم عالية لا تدركها عقول العباد.

أنواع الوحي

الآيات (٥١ - ٥٣) من سورة الشورى

قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِنْ وَرَائِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلَىٰ حَكِيمٍ مُّبِينٌ ٥١ ﴾ وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِنْ جَعَلْنَاهُ نُورًا تَهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ٥٢ ﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ ٥٣ ﴾

معاني المفردات :

المعنى	اللفظ
إلقاء في القلب	وَحِيًّا
القرآن الكريم	رُوحًا
طريق	صِرَاطٍ
ترجع	تَصِيرُ

المعنى الإجمالي :

القرآن الكريم حياة الأرواح :

يتبين لنا من خلال استقراء سورة الشورى أنّ أهم غرض فيها إثبات أنّ القرآن وحيٌّ من الله تعالى إلى محمد ﷺ، مثلما أوحى من قبله إلى الرسل ﷺ، فقال تعالى في أول السورة ﴿كَذَلِكَ يُوحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِكَ اللَّهُ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾^(١) وفي آخرها قال تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا﴾^(٢) وسمّى الله تعالى القرآن روحاً؛ لأنّ الأرواح تحيا به.

طرق تكليم الله تعالى البشر :

ولما قال الكفارُ المكذوبون تجبراً وتكبراً ﴿لَوْ لَا يُكَلِّمُنَا اللَّهُ أَوْ تَأْتِينَا آيَةٌ﴾^(٣) ردّ الله سبحانه عليهم بهذه الآية الكريمة ويبيّن أن تكليمه لا يكون إلا للأنبياء والمرسلين وصفوته من العالمين، فقال: تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحِيًّا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا﴾ أي وما صحّ لأحد من البشر أن يكلمه الله إلا بالإلقاء في القلب إلهاماً أو مناماً، أو بسماع الكلام الإلهي دون أن يرى السامع من يكلمه، أو بإرسال ملك يرى صورته ويسمعُ صوته ليوحي بإذن الله ما يشاء، والله سبحانه ذاته مقدسة وصفاته منزهة وأفعاله لا ترقى إليها أفعال غيره، قاهرٌ فلا يمانعُ، بالغُ الحكمة في تصرفاته وتدبيره.

(١) سورة الشورى: ٣

(٢) سورة الشورى: ٥٢

(٣) سورة البقرة: ١١٨

وهذه الآية الكريمة دلّت على أنّ تكليم الله تعالى للبشر وقع على ثلاثة طرق :

الأول: عن طريق الوحي، وهو الإعلام في خفاء وسرعة عن طريق الإلقاء في القلب يقظة أو مناماً، كرؤيا إبراهيم عليه السلام، أنه يذبح ابنه ﴿فَكَالَ يُبْنَىٰ إِلَيَّ أَرَىٰ فِي الْمَنَامِ أَنِّي أَذْبَحُكَ﴾ (١).

والثاني: عن طريق الإسماع من وراء حجاب أو حاجز، بأن يكلم الله تعالى النبي بدون أن يرى ذاته، كما حدث لموسى عليه السلام عندما كلمه ربه عز وجل في وادي الطور دون أن يُبصر من يكلمه، وكما حدث لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليلة الإسراء والمعراج.

والثالث: عن طريق إرسال الملك وهو جبريل عليه السلام ووظيفته أن يبلغ الرسول ما أمره الله تعالى بتبليغه له. وبعض هذه الطرق قد وردت في حديث عائشة رضي الله عنها أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله: «أحياناً يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده عليّ فيفصم عني، وقد وعيت عنه ما قال، وأحياناً يتمثل لي الملك رجلاً فيكلمني فأعي ما يقول» (٢).

القرآن الكريم حياة القلوب :

ثم بين سبحانه أعظم شيء أوحاه إلى نبيه صلى الله عليه وسلم فقال ﴿وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنْتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ﴾ والمراد بالروح: القرآن الكريم، لأن الأرواح تحيا به كما تحيا

(١) سورة الصافات: ١٠٢

(٢) رواه البخاري.

الأبدانُ بالغذاءِ والطعامِ كما أنَّ فيه حياةً للنفوسِ من موتِ الجهلِ.

ومثلُ ما أوحينا إلى الأنبياءِ من قبلك، أوحينا إليك يا محمدُ هذا القرآنَ العظيمَ الذي هو من أمرنا ومن شأننا، ما كنتَ يا محمدُ تعلمُ ولا تدركُ حقيقةَ هذا القرآنِ العظيمِ ولا تعرفُ ما هو الإيمانُ، ولكنْ جعلنا هذا القرآنَ الكريمَ نوراً ساطعاً نهدِي به ونوفِّقُ إليه من عبادنا ليضيءَ طريقَهُم ليكونوا علي بَيِّنَةٍ من أمرهم، وإنَّكَ أيُّها الرسولُ الكريمُ لتدلُّ وترشد الناسَ إلى طريقٍ واضحٍ قويمٍ لا اعوجاجَ فيه وهذا الطريقُ هو صراطُ اللهِ القويمِ الذي لا اعوجاجَ فيه وهو دينُ اللهِ تعالى الذي له ما في السماواتِ والأرضِ خَلْقاً ومُلْكاً وتصرفاً فكلُّ شيءٍ تحتَ قبضتِهِ وعظمتِهِ، ألا إلى اللهِ تعالى وحدهِ ترجِعُ أمورُ المخلوقاتِ جميعاً يومَ القيامةِ فيفصلُ فيها بحكمِهِ العادلِ وقضائِهِ المُبرمِ.

وفي هذا وعدٌ للمهتدينِ إلى الصراطِ المستقيمِ بالثوابِ المقيمِ والفوزِ العظيمِ، كما أنَّ فيه تهديداً ووعيداً بالعذابِ الشديدِ للضالِّينَ المكذِبينَ.

من هدايةِ الآياتِ :

- ١- بيانُ طرقِ الوحيِ الثلاثةِ.
- ٢- القرآنُ الكريمُ روحٌ تحيا به القلوبُ الميتةُ كما تحيا الأجسامُ بالغذاءِ.
- ٣- القرآنُ نورٌ يُستضاءُ به في الحياةِ فتعرفُ به طرقُ السعادةِ وسُبلُ النجاةِ.
- ٤- هدايةُ النبيِّ ﷺ هدايةُ إرشادٍ وتبليغٍ.

بين يدي سورة الزخرف

التعريفُ بالسورةِ الكريمةِ

سورةُ الزخرفِ مكيةٌ نزلتْ بعدَ سورةِ الشورى وعدُدُ آياتِها ٨٩ ورقمُها في المصحفِ ٤٣، وقد سُميتْ بهذا الاسمِ لما فيها من التمثيلِ الرائعِ لمتاعِ الدنيا بالزُخرفِ اللامعِ مع أنَّها لا تساوي عندَ الله - تعالى - جناحَ بعوضةٍ، وقد تناولتِ السورةُ أسسَ العقيدةِ الإسلاميةِ، وأصولَ الإيمانِ، ومن أهمِّ محاورِ السورةِ الكريمةِ ما يلي:

١. تعرَّضتِ السورةُ لإثباتِ صدقِ القرآنِ الكريمِ وبيانِ أنه معجزةُ الرسولِ ﷺ الخالدةُ.
٢. وضَّحتِ السورةُ دلائلَ قدرةِ الله - تعالى - ووحدانِيتهِ، المنبئةُ في هذا الكونِ الفسيحِ، في السماءِ والأرضِ والجبالِ والبحارِ والأنهارِ، وجريانِ السفنِ على الماءِ.
٣. تناولتِ السورةُ ما كانَ عليهِ المجتمعُ الجاهليُّ من الخرافاتِ والوثنياتِ، فجاءتْ لتصحيحِ تلكِ الانحرافاتِ، وردِّ النفوسِ إلى الفطرةِ.
٤. تحدَّثتِ السورةُ الكريمةُ عن دعوةِ إبراهيمَ ﷺ الذي يزعمُ المشركونَ أنَّهم على ملَّةِهِ، فكذبَتْهم وبيَّنتُ أنَّ إبراهيمَ ﷺ أولٌ من تبراَّ من الأوثانِ.
٥. بيَّنتِ السورةُ الكريمةُ أنَّ النبوةَ منحةٌ من الله - تعالى - يهبُها مَنْ يشاءُ من خَلقه، وأنَّ الجاهَ والثراءَ ليسا ميزاناً لكرامةِ الإنسانِ.
٦. تناولتِ السورةُ قصةَ موسى ﷺ مع فرعونَ.
٧. حُتمتِ السورةُ ببيانِ أحوالِ الآخرةِ ببيانِ حالِ أولياءِ اللهِ وما أعدَّ لهم في الجنةِ وبيانِ حالِ المجرمينَ وهم يتقلبونَ في غمَّراتِ الجحيمِ.

عاقبة المستهزئين بالأنبياء ﷺ

الآيات (١ - ٨) من سورة الزخرف

قال تعالى: ﴿حَمَّ ۝١ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ۝٢ إِنَّا جَعَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝٣ وَإِنَّهُ فِي أُمِّ الْكِتَابِ لَدَيْنَا لَعَلِيَّ حَكِيمٌ ۝٤ أَفَنْضَرِبُ عَنْكُمْ الذِّكْرَ سَفْحًا أَن كُنْتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِنْ نَبِيِّ فِي الْأَوَّلِينَ ۝٦ وَمَا يَأْتِيهِمْ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ ۝٧ فَأَهْلَكْنَا أَشَدَّ مِنْهُمْ بَطْشًا وَمَضَىٰ مَثَلُ الْأَوَّلِينَ ۝٨﴾

معاني المفردات:

اللفظ	المعنى
أُمُّ الْكِتَابِ	اللوح المحفوظ
أَفَنْضَرِبُ	نُبْعُدُ
سَفْحًا	إِعْرَاضًا

المعنى الإجمالي:

عظمة القرآن الكريم:

أفتتحت السورة الكريمة بالحروفِ المقطّعة لتحديّ العرب وإعجازهم، ثم أظهر الله

عظمة القرآن الكريم بعدة أمور:

١ - أقسم - جلّ وعلا - بالقرآن الكريم الواضح الجليّ، وفي ذلك دلالة على عظمة هذا الكتاب.

٢ - نزل القرآن الكريم بلغة العرب؛ لكي يفهموه ويعقلوا معانيه، ويهتدوا إلى ما فيه من الأحكام السامية، والآداب العالية.

٣- أنّ الله تعالى حفظ القرآن الكريم في اللوح المحفوظ: فقد بين الله - تعالى - المنزلة السامية التي جعلها لهذا القرآن، والصيانة التامة التي أحاطه بها، فهو المبين الثابت، الكائن في اللوح المحفوظ، كما قال تعالى ﴿بَلْ هُوَ قُرْآنٌ مَّجِيدٌ ﴿٢١﴾ فِي لَوْحٍ مَّحْفُوظٍ ﴿٢٢﴾﴾^(١).

٤ - أنّ القرآن الكريم عند الله تعالى لعليّ أي: لرفيع الشأن، عظيم القدر ومُحكّم النظم في أسَمَى درجات البيان.

مظاهر رحمة الله تعالى بالخلق:

تتجلى رحمة الله - تعالى - بخلقه فهو - سبحانه - لا يؤاخذ الناس من أول مرة، بل يذكرهم بشتى الوسائل حتى يتوبوا إلى ربهم. فهو لرحمته بالناس يخاطبهم - عز وجل - أيها المسرفون: أنعرض عنكم ونهملكم فلا نذكركم بالقرآن الكريم، بسبب إسرافكم على أنفسكم، ومحاربتكم للحق، وإيثاركم الغي على الرشد؟! لا، لن نفعلك ذلك، بل سنذكركم بالقرآن الكريم، وندعوكم إلى الخير، ومن شاء بعد ذلك فليؤمن، ومن شاء فليكفر.

(١) سورة البروج ٢١ - ٢٢

تسليّة الله تعالى لرسوله ﷺ:

يسلّي - الله تعالى نبيّه محمداً ﷺ مبيّناً أنّه أرسلَ عدداً من الرسلِ - ﷺ - في الأممِ السابقةٍ لهدايتهم، فكانَ موقفُ أكثرِ هؤلاءِ الاستهزاءِ برسليهم والسخريةِ منهم والإعراضِ عنهم، فاصبرْ - أيها الرسولُ الكريمُ - على أذى قومك، كما صبرَ الذينَ من قبلك، كنوحٍ وإبراهيمَ وموسىَ ﷺ.

عذابُ المكذِبينَ المستهزئينَ بالرسولِ:

وتبيّنُ الآياتُ الكريمةُ أنّ المكذِبينَ استهزؤوا برسليهم فأهلكهمُ الله - تعالى - وكانوا أشدَّ قوّةً وبطشاً من قومك أيها الرسولُ الكريمُ - ومضتْ في الآياتِ القرآنيةِ صفةُ عقوبةِ الأولينَ بأنَّ أهلكوا بسببِ كفرهم وطغيانهم واستهزائهم، وقد اقتضتْ حكمةُ الله - تعالى - أن يسوقَ لقومك قصصَ هؤلاءِ السابقينَ وصفاتهم وما حلَّ بهم من نكباتٍ، لكي يعتبروا بهم، ولا يتهجروا نهجهم، حتّى لا يصيبهم ما أصاب أولئك السابقينَ المكذِبينَ من العذابِ.

من هدايةِ الآياتِ:

- ١ - عظمة القرآن الكريم.
- ٢ - أثرُ القصةِ القرآنيةِ في التربيةِ الإيمانيةِ.
- ٣ - كثرةُ إرسالِ الله - تعالى - للأنبياءِ دليلٌ على رحمتهِ تعالى بخلقه.

بيان نعم الله تعالى على عباده الآيات (٩ - ١٤) من سورة الزخرف

قال تعالى: ﴿وَلَيْن سَأَلْنَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ خَلَقَهُنَّ الْعَزِيزُ الْعَلِيمُ ٩﴾
الَّذِي جَعَلَ لَكُمْ الْأَرْضَ مَهْدًا وَجَعَلَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ١٠﴾ وَالَّذِي نَزَّلَ
مِنَ السَّمَاءِ مَاءً يَقْدَرُ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ نُخْرِجُوكَ ١١﴾ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا
وَجَعَلَ لَكُمْ مِنَ الظُّلُمِ الْأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ ١٢﴾ لِيَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ
عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ١٣﴾ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ ١٤﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
مَيْسِرَةً	مَهْدًا
طُرُقًا	سُبُلًا
قَادِرِينَ	مُقْرِنِينَ

المعنى الإجمالي:

الكفارُ يدركون أنَّ الله تعالى خالقُ كلِّ شيءٍ:

يخاطبُ الله - تعالى - رسوله ﷺ لئن سألت - أيها الرسول الكريم - هؤلاء المشركين

عَمَّنْ خَلَقَ هَذَا الْكَوْنُ، لِيَقُولَنَّ بَدُونِ تَرَدُّدِ اللَّهِ - تَعَالَى - الْغَالِبُ الَّذِي لَا يُقَهَّرُ وَالْعَالَمُ بِبِوَاطِنِ الْأُمُورِ وَظَوَاهِرِهَا، وَلَكِنَّهُمْ لَجَهْلِهِمْ وَانْطِمَاسِ بِصَائِرِهِمْ، وَحَقْدِهِمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ ﷺ عَبْدُوا آلِهَةً شَتَّى وَقَالُوا كَمَا قَصَّ عَلَيْنَا الْقُرْآنُ الْكَرِيمُ: ﴿ مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى ﴾ (١) وَقَدْ ثَبَتَ فِي الْحَدِيثِ « أَنَّ الرَّسُولَ ﷺ سَأَلَ الْحُصَيْنَ وَالِدَ عِمْرَانَ قَائِلًا: (يَا حُصَيْنُ كَمْ تَعْبُدُ الْيَوْمَ إِلِهَاءَ؟ قَالَ: سَبْعَةٌ؛ سِتَّةٌ فِي الْأَرْضِ، وَوَاحِدٌ فِي السَّمَاءِ، قَالَ فَأَيُّهُمْ تَعُدُّ لِرَغْبَتِكَ وَرَهْبَتِكَ؟ قَالَ: الَّذِي فِي السَّمَاءِ فَقَالَ: يَا حُصَيْنُ أَمَا إِنَّكَ لَوْ أَسْلَمْتَ، عَلَّمْتُكَ كَلِمَتَيْنِ تَنْفَعَانِكَ، فَلَمَّا أَسْلَمَ حُصَيْنٌ أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، عَلَّمْنِي الَّذِي وَعَدْتَنِي، قَالَ: قُلِ: اللَّهُمَّ أَلْهِمْنِي رُشْدِي، وَأَعِزَّنِي مِنْ شَرِّ نَفْسِي » (٢).

نعمُ اللهِ الوفيرةُ على خلقه:

ثُمَّ يَعِدُّ اللَّهُ - جَلَّ وَعَلَا - نِعْمَهُ عَلَى خَلْقِهِ، وَهِيَ كَثِيرَةٌ لَا تَعُدُّ وَلَا تُحْصَى قَالَ تَعَالَى: ﴿ وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لظَلُومٌ كَفَّارٌ ﴾ (٣) وَالنَّعْمِ الْوَارِدَةُ فِي الْآيَاتِ مَا يَلِي:

الأولى: جَعَلَ لَهُمُ الْأَرْضَ كَالْفَرَاشِ الْمُهَيَّءِ، فَبَسَطَهَا لَهُمْ، وَجَعَلَهَا صَالِحَةً لِسِيرِهِمْ عَلَيْهَا، وَإِنْبَاتِ الزَّرْعِ فِيهَا، وَجَعَلَ فِيهَا طُرُقًا مُتَعَدِّدَةً، لِكَيْ يَسْلُكُوهَا، فَيَصِلُوا مِنْ بَلَدٍ إِلَى آخَرَ، لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ إِلَى مَا يَرِيدُونَ الْوَصُولَ إِلَيْهِ مِنَ الْبِلَادِ، وَمِنَ الْمَنَافِعِ الْمُتَعَدِّدَةِ.

(١) سورة الزمر: ٣

(١) أخرجه البيهقي

(٢) سورة إبراهيم: ٣٤

والثانية: أنه أنزل سبحانه من السماء ماءً بمقدارٍ مُعَيَّنٍ على قَدْرِ حاجَتِهِمْ، فلا هو بالكثير الذي يُغرقُهُمْ ولا هو بالقليل الذي لا يكفي حاجتهم، فأحيا به أرضاً يابسةً لا نبات فيها ولا زرع، وكذلك تُخْرَجُونَ من قبوركم كما يُخْرَجُ النبات من الأرض الميتة، قال تعالى: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَسْكَنَّاهُ فِي الْأَرْضِ وَإِنَّا عَلَى ذَهَابٍ بِهِ لَقَادِرُونَ﴾ (١).

والثالثة: أنه خَلَقَ الأصنافَ كُلَّهَا من حيوانٍ ونبات، وجعلَ لكم من السفنِ ما تركبون في البحر، ومن البهائم كالإبل والخيل والبغال والحمير ما تركبون في البر.

ثم بيّن الله تعالى الحكمة من هذا التذليل والتسخير للفلك والأنعام؛ لكي تذكروا الله تعالى الذي مكّنكم من استعلاءِ ظهورِ الأنعام التي تركبونها والتمكّن والاستواءِ على تلك السفن، وتقولوا على سبيلِ الشكرِ لله تعالى والاعترافِ بفضله: سُبْحَانَ الَّذِي ذَلَّلَ لَنَا هَذَا، وجعله منقاداً لنا، طائعا لأمرنا، وما كان كذلك إلا لتسخيرِ الله تعالى له، وإنا إلى ربنا وخالقنا لراجعون يومَ القيامةِ، لكي يحاسبنا على أعمالنا، ويجازينا عليها بجزائه العادل.

فائدة: وعن ابن عمر - رضي الله عنهما - أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر كبر ثلاثاً ثم قال: (سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ، اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ فِي سَفَرِنَا هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنَا سَفَرَنَا هَذَا، وَاطْوِ عَنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ، وَالْخَلِيفَةُ فِي الْأَهْلِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاءِ السَّفَرِ، وَكَآبَةِ الْمُنْظَرِ، وَسَوْءِ الْمُنْقَلَبِ فِي الْمَالِ وَالْأَهْلِ، وَإِذَا رَجَعْتَ قَالَهِنَّ، وَزَادَ فِيهِنَّ: آيِبُونَ، تَائِبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ) (٢).

(١) سورة المؤمنون: ١٨

(٢) رواه مسلم

من هداية الآيات:

- ١- الكفار يؤمنون بأن الله خالق الكون لكنهم يشركون مع الله آلهة شتى.
- ٢- نعم الله على الإنسان لا تُعد ولا تُحصى.
- ٣- العاقل هو الذي يشكر الله على نعمه.
- ٤- المداومة على الذكر من سمات الصالحين.
- ٥- تقرير عقيدة البعث.

بطلان حجج الكفار

الآيات (١٥ - ٢٥) من سورة الزخرف

قال تعالى: ﴿ وَجَعَلُوا لَهُ مِنْ عِبَادِهِ جُزْءًا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَكَفُورٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ أَمْ اتَّخَذَ مِمَّا يَخْلُقُ بَنَاتٍ وَأَصْفَنَكُمْ بِالْبَنِينَ ﴿١٦﴾ وَإِذَا بُشِّرَ أَحَدُهُمْ بِمَا ضَرَبَ لِلرَّحْمَنِ مَثَلًا ظَلَّ وَجْهَهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ ﴿١٧﴾ أَوْ مَنْ يَنْشَأُ فِي الْحِلْيَةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ ﴿١٨﴾ وَجَعَلُوا أَلَمَتِ الْكَافِرِينَ هُمْ عِبَادُ الرَّحْمَنِ إِنَّنَا آسَافُ مَوْجِدُونَ ﴿١٩﴾ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ أَلَيْنَ نَسْتَعِينُ ﴿٢١﴾ قَالُوا إِنَّ آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ مُهْتَدُونَ ﴿٢٢﴾ وَكَذَلِكَ مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّنْ نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَىٰ آثَرِهِمْ وَإِنَّا لَمُتَّقُونَ ﴿٢٣﴾ قُلْ أُولَئِكَ جِئْتُمْكُمْ بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدْتُمْ عَلَيْهِ آبَاءَكُمْ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ ﴿٢٤﴾ فَانظُرْنَا مِنْهُمْ فَأَنْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ ﴿٢٥﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
أثركم	وَأَصْفَنَكُمْ
حزين	كَظِيمٌ
يكذبون	يَخْرُصُونَ
دين	أُمَّةٍ

المعنى الإجمالي:

اعتقادات الكفار الفاسدة:

تصورُ الآيةِ الكريمةِ عقيدةَ الكفارِ الفاسدةِ وآراءهم المتناقضةَ، فرغم اعتقادهم بأنَّ اللهَ تعالى هو الخالقُ لهذا الكونِ، إلا أنَّهم لجهالتهم اعتقدوا اعتقاداً باطلاً بأنَّ الملائكةَ بناتُه، مع أنَّ الملائكةَ من مخلوقاته التي يشملها هذا الكونُ، ثم يبيِّنُ اللهَ جلَّ وعلا أنَّ الكافرَ يجحدُ نَعَمَ اللهِ تعالى مظهرًا ذلك في أقواله وأفعاله.

شبهة المشركين والردُّ عليها:

زَعَمَ المشركونَ أنَّ اللهَ تعالى اتَّخَذَ ولداً حيثُ قالوا: إِنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ، وهذا باطلٌ من وجوه:

١. أنَّ الصنْفَ الذي نسبوه لله تعالى هو أقلُّ الصنفين، وهو البناتُ.
٢. أنَّهم تكلموا فيما ليس لهم به علمٌ؛ لأنَّهم لم يشهدوا خلقَ الملائكةِ.
٣. أنَّ الولدَ جزءٌ من والدِه والله بائنٌ من خلقه. قال الشيخ الفوزان^(١): «تعني ليس في ذاته شيء من مخلوقاته وليس من مخلوقاته شيء من ذاته».

القرآن يسخر من الكفار:

يُوبِخُ الحقُّ - جلَّ وعلا - كفارَ قريشٍ ومَنْ سارَ على نَهجِهِم: لقد زعمتم أنَّ الملائكةَ بناتُ اللهِ، فخبروني بربكم هل يُعقلُ أن يتخذَ اللهُ - تعالى - أولادَه من البناتِ اللاتي هنَّ أقلُّ

(١) الشيخ صالح بن فوزان الفوزان، عضو هيئة كبار العلماء وعضو اللجنة الدائمة للإفتاء.

منزلةً من البنين في تقديرِكُم، ويترك لكم الذكور؟ إنَّ من شأنِ الذي يختارُ جنسَ الأولادِ أن يختارَ أعلاهم منزلةً فبأيِّ منطقٍ زعمتم أنَّ الملائكة بناتُ الله، تعالى اللهُ عن ذلك علواً كبيراً وهذا يدلُّ على قلة فهمِكُم وسوءِ عقلِكُم.

كراهية كفار قريش للبنات:

أَكَّدَ - سبحانه - جهلَ كفارِ قريشٍ وغفلتَهم عن المنطقِ السليمِ بأنَّ الواحدَ منهم إذا بشرته امرأته بأنَّها ولدت له أنثى، صارَ وجْهه مسوداً من شدةِ الحزنِ، وظلَّ ممتلئاً بالهمِّ والكره، وقد أنكر الإسلامُ هذا المسلكَ، فبيَّنَ الرسولُ ﷺ مكانةَ الأنثى فقال: «مَنْ كَانَ لَهُ ثَلَاثُ بَنَاتٍ، فَصَبَرَ عَلَيْهِنَّ، وَأَطْعَمَهُنَّ وَسَقَاهُنَّ وَكَسَاهُنَّ مِنْ جِدَّتِهِ كُنَّ لَهُ حِجَابًا مِنَ النَّارِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»^(١).

وقال ﷺ «من ابتلي من البناتِ بشيءٍ، فأحسنَ إليهنَّ كُنَّ له سِتْرًا مِنَ النَّارِ»^(٢).

وفي قوله تعالى ﴿أَوْ مَنْ يُنشِئُ فِي الْحَلِيِّةِ وَهُوَ فِي الْخِصَامِ غَيْرُ مُبِينٍ﴾^(١٨).

ويوجِّهُ اللهُ تعالى تأنيباً لهؤلاءِ المشركين على جهلِهم وسوءِ أدبِهم وإنكاراً عليهم أنهم نسبوا إلى الله تعالى الإناث اللاتي من شأنهن النشأة في الزينة والدعة والنعومة، فصرن بمقتضى هذه النشأة، وبمقتضى تكوينهن البدني والعقلي، لا يقدرن على جدالٍ أو قتالٍ، بينما نسبوا إلى أنفسهم الذكور الذين هم قوامون على النساء، وقد أنكر اللهُ تعالى عليهم ذلك في موضع آخر فقال: ﴿الْكُفْرُ الذَّكْرُ وَلَهُ الْأُنثَى﴾^(١٩) تِلْكَ إِذَا قَسَمَةٌ ضَيْرَى﴾^(٢٢).

(١) صححه الألباني في صحيح ابن ماجه

(٢) رواه مسلم

(٣) سورة النجم: ٢١ - ٢٢

ثم توعدّهم - جلّت قدرته - بسوء المصير بسبب افتراءهم على الله - تعالى - وزعمهم أنّ الملائكة الذين هم عباد الرحمن، وأهل طاعته إناث، فهل كانوا حاضرين وقت أن خلقهم الله - تعالى - حتى حكموا عليهم بهذا الحكم الباطل؟

كلاً إنهم لم يكونوا حاضرين، وهذا توبيخ لهم حيث لم يشهدوا خلق الملائكة فقد كتب الله تعالى شهادتهم على الملائكة أنها بنات الله - تعالى - وسجل أقوالهم في صحائف أعمالهم المليئة بالسيئات ويُسألون عنها سؤال تأنيب وتوبيخ يوم القيامة.

حجة الكفار الباطلة لعبادة غير الله تعالى:

قال تعالى ﴿ وَقَالُوا لَوْ شَاءَ الرَّحْمَنُ مَا عَبَدْنَاهُمْ ﴾ تُبين الآية الكريمة حجة الكفار الباطلة بأنّ الله تعالى لو شاء عدم عبادتهم للملائكة أو للأصنام ما عبدوهم، فردّ الله تعالى عليهم بأمرين الأول: قال تعالى: ﴿ مَا لَهُمْ بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ﴾ أي يكذبون، فمشيئة الله جلّ وعلا لا يعلمها أحد سواه، الثاني: قال تعالى ﴿ أَمْ آتَيْنَاهُمْ كِتَابًا مِنْ قَبْلِهِ فَهُمْ بِهِ مُسْتَمْسِكُونَ ﴾ يبين الله جلّ وعلا في الآية الكريمة أنه ليس للكافرين مستند فيما هم عليه من الشرك لا من العقل ولا من النقل، فهل أعطيناكم أيها المشركون كتاباً من قبل القرآن الكريم، يخبركم بصحة أفعالكم وصدق أقوالكم؟ ليس الأمر كذلك.

مخاطر تقليد الأسلاف:

يبين الله جلّ وعلا في الآية الكريمة مستند الكفار في شركهم بالله تعالى وهو أنّهم

يُقلِدُونَ آبَاءَهُمْ فِي جَهْلَاتِهِمْ وَكُفْرِهِمْ. فَقَدِ قَالُوا عِنْدَمَا دَعَاهُمُ الرَّسُولُ ﷺ إِلَى الدِّينِ الْحَقِّ: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى دِينٍ وَطَرِيقَةٍ تُتَّبَعُ، وَهِيَ عِبَادَةُ هَذِهِ الْأَلْهَةِ، وَإِنَّا عَلَى طَرِيقَتِهِمْ سَائِرُونَ بَدُونَ تَفَكُّرٍ أَوْ تَدَبُّرٍ، فَيَسْأَلِي اللَّهُ تَعَالَى رَسُولَهُ ﷺ بَأْنَ لَا يَحْزَنَ لِمَا يَرَاهُ مِنْ إِعْرَاضِ الْمُشْرِكِينَ عَنِ دَعْوَتِهِ، فَإِنَّ شَأْنَهُمْ كَشَأْنِ سَابِقِيهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ، فَإِنَّا مَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ فِي قَرْيَةٍ مِنَ الْقُرَى، أَوْ فِي قَوْمٍ مِنَ الْأَقْوَامِ، إِلَّا قَالَ الْمَعْرُضُونَ مِنْهُمْ، لَمَنْ جَاءَهُمْ بِالْحَقِّ: إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى دِينٍ وَإِنَّا مُقْتَدُونَ بِهِمْ فِي عِبَادَتِهِمْ وَأَفْعَالِهِمْ.

عناد أهل الباطل:

ثم تُبَيِّنُ الْآيَةُ جِهَادَ الرَّسُولِ ﷺ وَصَبْرَهُ عَلَى الدَّعْوَةِ، حَيْثُ قَالَ لِلَّذِينَ أَصْرُوا عَلَى تَقْلِيدِ آبَائِهِمْ فِي الْكُفْرِ وَالضَّلَالِ: أَتَتَّبِعُونَ آبَاءَكُمْ وَتَقْتَدُونَ بِهِمْ فِي الْكُفْرِ، مَعَ أَنِّي جِئْتُكُمْ بِدِينٍ أَهْدَى وَأَصُوبٍ مِمَّا كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُكُمْ؟ لَكِنَّ الْمَكْذِبِينَ قَالُوا إِنَّا بِمَا أُرْسِلَتْ بِهِ مِنَ الْهُدَى كَافِرُونَ، وَبَاقُونَ عَلَى الدِّينِ الَّذِي كَانَ عَلَيْهِ آبَاؤُنَا، فَهَدَّدَهُمُ اللَّهُ تَعَالَى بِأَنْ يَكُونَ مَصِيرُهُمْ كَمَصِيرِ الْأُمَّمِ السَّابِقَةِ الَّتِي انْتَقَمَ مِنْهَا؛ بِسَبَبِ كُفْرِهِمْ، فَمِنْهُمْ مَنْ أُرْسِلَ عَلَيْهِمْ حَاصِبًا وَهُمْ قَبِيلَةُ عَادٍ قَوْمِ نَبِيِّ اللَّهِ هُودِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَهُمْ ثَمُودُ قَوْمِ نَبِيِّ اللَّهِ صَالِحِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفَ اللَّهُ بِهِ الْأَرْضَ وَهُوَ قَارُونُ وَمِنْهُمْ مَنْ أُغْرِقَ وَهُمْ قَوْمُ نُوْحٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَفِرْعَوْنُ وَقَوْمُهُ، فَتَأْمَلُ أَيُّهَا الْعَاقِلُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمَكْذِبِينَ وَكَيْفَ أَهْلَكُوا، وَكَيْفَ نَجَّى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ؟

مِنْ هِدَايَةِ الْآيَاتِ:

- ١- كَانَ كِفَارَ قَرِيْشٍ يَكْرَهُونَ الْبَنَاتِ.
- ٢- فَضْلُ تَرْبِيَةِ الْبَنَاتِ، وَأَنَّهَا سَبَبٌ لِدُخُولِ الْجَنَّةِ.
- ٣- حَثَ الرَّسُولُ ﷺ عَلَى الْإِحْسَانِ لِلْبَنَاتِ لَضَعْفِهِنَّ.
- ٤- تَنْزِيهِ اللَّهِ تَعَالَى عَنِ الصَّاحِبَةِ وَالْوَالِدِ.
- ٥- الْعَاقِلُ يَبْتَعِدُ عَنِ تَقْلِيدِ الْأَسْلَافِ فِي الضَّلَالِ.
- ٦- اسْتِخْدَامُ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ الْحَوَارِ الْهَادِفَ لِإِظْهَارِ الْحَقِّ.
- ٧- بَيَانٌ أَنَّ مَنْ قَالَ قَوْلًا وَشَهِدَ شَهَادَةً بَاطِلَةً سَوْفَ يُسْأَلُ عَنْهَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيُعَاقَبُ عَلَيْهَا.
- ٨- حُرْمَةُ الْقَوْلِ عَلَى اللَّهِ بَدُونَ عِلْمٍ.

نداء الفطرة

الآيات (٢٦ - ٢٨) من سورة الزخرف

قال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقْبِهِ ۚ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾﴾

معاني المفردات

المعنى	اللفظ
مُبْغِضٌ	بَرَاءٌ
خلقني	فَطَرَنِي
ذُرِّيَّتِهِ	عَقْبِهِ

المعنى الإجمالي:

حرص الداعي على هداية الناس:

يخبرُ اللهُ تعالى عن حرصِ الرسولِ ﷺ على اتخاذِ كلِّ الأساليبِ الممكنة؛ لِحَثِّ الناسِ على الخيرِ، وهدايتهم إلى البرِّ، وتلك هي الدعوةُ إلى دينِ اللهِ تعالى التي جُعِلت من أجلِّ المقاصدِ وأرفعِ المراتبِ، وهنا يذكُرُ الرسولُ ﷺ قومه بأبي الأنبياءِ إبراهيمَ عليه السلام وقتَ أنْ قالَ لأبيه آزرَ،

ولقومه الذين كانوا عاكفين على عبادة الأصنام، مقلدين في ذلك آباءهم... حيث قال: إنني بريء مما تعبدونه من هذه الأوثان؛ لكنني أعبد الذي خلقتني بقدرته فإنه هو الذي سيوفقني إلى الصراط المستقيم، وذكرهم الله تعالى هنا بحال إبراهيم عليه السلام؛ لأنه كان أعظم آبائهم، ومحط فخرهم، والمجمع على محبته منهم فقد تبرأ إبراهيم عليه السلام من عبادة الأصنام، فالواجب عليهم أن يتبعوا ملة أبيهم إبراهيم الذي به يفخرون.

فضل كلمة التوحيد:

تُبَيِّنُ الآيَةُ الْكَرِيمَةُ فَضْلَ التَّوْحِيدِ وَإِخْلَاصِ الْعِبَادَةِ لِلَّهِ وَحْدَهُ، وَلِذَلِكَ نَجِدُ أَنَّ نَبِيَّ اللَّهِ إِبْرَاهِيمَ عليه السلام حَرَصَ كُلَّ الْحَرَصِ عَلَى التَّوْحِيدِ وَنَشَرَهُ فِي أَهْلِهِ وَعَقِبِهِ بِأَمْرَيْنِ:

الأمر الأول: أنه دعا ربه أن تكون ذريته على التوحيد الخالص فقال ﴿وَأَجْنِبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ﴾ (٣٥) واستجاب الله تعالى بفضله وكرمه فكان منهم الأنبياء والصالحون، الذين قالوا ربنا الله ثم استقاموا.

الأمر الثاني: جعل الوصية بالتوحيد متتابعةً وباقيةً في ذريته من بعده، وقد قصَّ القرآن الكريم علينا وصية إبراهيم لبنيه من بعده وذلك في قوله تعالى: ﴿وَوَصَّي بِهَا إِبْرَاهِيمَ بَنِيهِ وَيَعْقُوبَ يَبْنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمْ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (١٣٢) (٢)، والضمير في قوله ﴿بِهَا﴾ يعودُ على كلمة التوحيد، ومن أبناء إبراهيم إسماعيل وإسحاق ويعقوبُ

(١) سورة إبراهيم: ٣٥

(٢) سورة البقرة: ١٣٢

ويوسفُ عليه السلام ثمَّ وَضَحَ اللهُ تَعَالَى الحِكْمَةَ فِي جَعْلِ الوَصِيَّةِ بِالتَّوْحِيدِ سُنَّةً مُتَّبَعَةً فِي عَقْبِهِ وَذُرِّيَّتِهِ، فَقَالَ تَعَالَى: ﴿لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ أَي يَرْجِعُ إِلَى كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ مَنْ أَشْرَكَ مِنْ ذُرِّيَّتِهِ حَتَّى لَا يَغْفُلُوا عَنْهَا.

وَعَنْ فَضْلِ كَلِمَةِ التَّوْحِيدِ، يَقُولُ عليه السلام: «أَفْضَلُ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»^(١) وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم قَالَ: «مَنْ قَالَ: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ كُلَّ يَوْمٍ مِائَةَ مَرَّةٍ كَانَتْ لَهُ عِدْلَ عَشْرِ رِقَابٍ، وَكُتِبَ لَهُ مِائَةُ حَسَنَةٍ وَمُحِي عَنْهُ مِائَةُ سَيِّئَةٍ، وَكَانَتْ لَهُ حِرْزًا مِنَ النَّارِ، يَوْمَهُ ذَلِكَ حَتَّى يَمْسِيَ، وَلَمْ يَأْتِ أَحَدٌ بِأَفْضَلٍ مِمَّا جَاءَ بِهِ إِلَّا أَحَدٌ عَمِلَ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ»^(٢).

من هداية الآيات:

- ١- إبراهيم عليه السلام أبو الأنبياء وإمام الحنفاء.
- ٢- أهمية القصة القرآنية بالنسبة للداعية.
- ٣- فضل كلمة التوحيد.
- ٤- المؤمن يحرص على هداية ذريته من بعده.

(١) أخرجه مالك في الموطأ

(٢) أخرجه البيهقي

موقف مشركي مكة من الإسلام

الآيات (٢٩ - ٣٥) من سورة الزخرف

قال تعالى: ﴿بَلْ مَتَّعْتُ هَؤُلَاءِ وَءَابَاءَهُمْ حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْحَقُّ وَرَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿٢٩﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ وَإِنَّا بِهِ كَافِرُونَ ﴿٣٠﴾ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ أَهْمَرُ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ وَلَوْلَا أَن يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَّجَعَلْنَا لِمَن يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقْفًا مِّن فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ ﴿٣٣﴾ وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُررًا عَلَيْهَا يَتَّكُونَ ﴿٣٤﴾ وَزُخْرَفًا وَإِن كُلُّ ذَلِكَ لَمَّا مَتَعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ عِنْدَ رَبِّكَ لِلْمُتَّقِينَ ﴿٣٥﴾﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
مَصَاعِد	وَمَعَارِجَ
يصعدون	يَظْهَرُونَ
زينة	وَزُخْرَفًا

المعنى الإجمالي:

الله تعالى يهمل ولا يهمل:

من لطفِ اللهِ تعالى بخلقه أنه لم يعاجلِ الناسَ بالعقوبةِ بمجردِ كفرهم، بل يبعثُ لهم الرسلَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وينزلُ عليهم الكتبَ، وهذا ما حدثَ مع المشركينَ المعاصرينَ لك - أيُّها الرسولُ الكريمُ - فأمددَهم اللهُ تعالى بالنِّعمِ المتعددةِ همُ وآبائهم، وبقيتْ تلكَ النعمُ فيهم، حتى أرسلتُك يا محمدُ إليهم بالقرآنِ الكريمِ، ومعنى ﴿وَرَسُولٌ مُبِينٌ﴾ أي:

١ - ظاهرُ الرسالةِ بما أُيدِّ به من المعجزاتِ.

٢ - مُبينٌ للتوحيدِ بالحججِ والآياتِ المتضمنةِ الأحكامَ الشرعيةَ.

٣ - رسالتهُ واضحةُ المعالمِ، بينةُ المقاصدِ، ليسَ فيها شيءٌ من الغموضِ الذي يدفعُ الناسَ إلى الإعراضِ عنها.

موقف كفار قريش من الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

يبيِّنُ اللهُ تعالى هنا موقفَ كفارِ قريشٍ حينَ جاءهم الرسولُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالقرآنِ الكريمِ، فقالوا - على سبيلِ الجحودِ والعنادِ -: هذا الذي جئتنا به من السِّحرِ، ونرفضُ الإيمانَ به، وقالوا على سبيلِ الحسدِ والحقدِ: لماذا خصَّ اللهُ تعالى محمداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنبوةِ، وفي القريتينِ مكةَ والطائفِ أشرافُ الناسِ كالوليدِ بنِ المغيرةِ في مكةَ، وكعروة بنِ مسعودٍ في الطائفِ، وقد عبَّرَ عن ذلكَ الوليدُ بنُ المغيرةِ عندما قال: «أينزل على محمد وأترك أنا وأنا كبير قريش»^(١).

(١) أخرجه الطبري

وقد وبَّخهم الله تعالى على جهلهم، وبين أن الرسالة رحمة منه تعالى يضعها حيث يشاء قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَصْطَفِي مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾ (٧٥) (١).

مظاهر حكمة الله تعالى في خلقه:

ثم بينت الآيات مظاهر قدرة الله تعالى في خلقه، فقد قسم بينهم أرزاقهم في الحياة الدنيا، وهو الذي رفع فيها بعضهم فوق بعض درجات، فهذا غنيٌّ وذاك فقيرٌ، وهذا مخدومٌ وذاك خادمٌ، وهذا قويٌّ وذاك ضعيفٌ.

ثم بين الله تعالى الحكمة من هذا التفاوت في الأرزاق قال تعالى: ﴿لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سَخِرِيًّا﴾ أي ليستخدم بعضهم بعضاً في حوائجهم وبذلك تنتظم الحياة، ويصل كل واحد إلى مطلوبه على حسب ما قدر الله - تعالى - له من رزقٍ واستعدادٍ، ﴿وَرَحِمْتُ رَيْكَ﴾ أي: الجنة خيرٌ من هذه الدنيا وخيرٌ مما يجمع الناس من المال الذي يتفاضلون فيه، وإن كانوا من أخط الناس قدراً وأدناهم شرفاً، ولو ترك سبحانه تقسيم الأرزاق إلى الناس لتقاتلوا، وعم الخراب في الأرض، لأن كل واحدٍ منهم يريد أن يأخذ ما ليس من حقه، وإذا كان هذا هو حالهم بالنسبة لأموال دنياهم فكيف أباحوا لأنفسهم التحكّم في منصب النبوة، وهو بلا شك أعلى وأبعد شأنًا من أمور الدنيا.

(١) سورة الحج: ٧٥

هوان الدنيا على الله تعالى:

وضحت الآية الكريمة قيمة الدنيا وأنها دار عمل لا دار نعيم، وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «لَوْ كَانَتِ الدُّنْيَا تَزُنُّ عِنْدَ اللَّهِ جَنَاحَ بُعُوضَةٍ، مَا أُعْطِيَ كَافِرًا مِنْهَا جِرْعَةً مَاءٍ»^(١). فالدنيا عند المؤمن طريقٌ إلى الآخرة.

وبينت الآية لولا كراهة أن يكون الناس جميعاً أمةً واحدةً مجتمعاً على الكفر حين يشاهدون سعة الرزق ورفاهية العيش، ظاهرةً بين الكافرين لجعلنا بمشيئتنا وقدرتنا، لمن يكفر بالرحمن، الشيء الكثير من حطام الدنيا، من ذلك مثلاً أن نجعل لبيوتهم سقفاً من فضة، ولجعلنا لهم مصاعداً فخمةً عليها يصعدون إلى أعلى مساكنهم. ولجعلنا - أيضاً - لبيوتهم أبواباً وسرراً ثمينةً، وعلى السُرر يتكئون وهم جالسون فوقها، ولجعلنا لهم الثمين من الذهب والفضة، وما كل ذلك المتاع الذي وصفناه لك إلا متاعاً فانياً مقصوراً على الحياة الدنيا، وثواب الآخرة عند خالقك مُعدٌّ للذين اتقوا الشرك، واجتنبوا الموبقات.

من هداية الآيات:

- ١- عَظْمَةُ الرِّسَالَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ وَوُضُوحُ مَعَالِمِهَا.
- ٢- الْحَسَدُ مِنْ أخطرِ الْمَعَاصِي.
- ٣- النُّبُوَّةُ مَنْحَةٌ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى.
- ٤- الدُّنْيَا دَارُ فَنَاءٍ وَالْآخِرَةُ دَارُ الْبَقَاءِ.
- ٥- لَا يَعْتَرِضُ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى أَحَدٌ فِي شَرَعِهِ وَتَدْبِيرِهِ إِلَّا كُفْرًا وَالْعِيَاذُ بِاللَّهِ تَعَالَى.

(١) رواه ابن أبي شيبة

حال المعرض عن ذكر الله تعالى وندمه

الآيات (٣٦-٤٥) من سورة الزخرف

قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُفِضَ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّوهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ مُهْتَدُونَ ﴿٣٧﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَنَا قَالَ يَلَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَيَتَسَّ الْقَرِينُ ﴿٣٨﴾ وَلَنْ يَنْفَعَكُمُ الْيَوْمَ إِذْ ظَلَمْتُمْ أَنَّكُمْ فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ ﴿٣٩﴾ أَفَأَنْتَ تُسْمِعُ الصُّمَّ أَوْ تَهْدِي الْعُمْىَ وَمَنْ كَانَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴿٤٠﴾ فَأَمَّا نَذَهَبَنَّ بِكَ فَإِنَّا مِنْهُمْ مُنْقِمُونَ ﴿٤١﴾ أَوْ نُرِيَنَّكَ الَّذِي وَعَدْتَهُمْ فَإِنَّا عَلَيْهِمْ مُقْتَدِرُونَ ﴿٤٢﴾ فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ ﴿٤٤﴾ وَسَأَلْنَا مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
يعرض	يَعِشُ
نهى	نُفِضَ
عجلنا بوفاتك	نَذَهَبَنَّ بِكَ
لشرف	لَذِكْرٌ

المعنى الإجمالي:

الشیطان قرین من یرض عن ذکر الله تعالى:

تُبین الآیة الکریمة أنَّ مَنْ یتعدُّ عن ذکرِ الرحمنِ، ویرضُ عن قرآنِهِ، ویتجاهلُ هَدْيَ الرسولِ ﷺ نهیَّ له شیطاناً رجیماً یرتولی علیه، ونجعه ملازماً له لا یفارقه فی الدنیا، وإنَّ الشیاطین الذین جعلهم اللهُ تعالی للمعرضین عن ذکرِهِ یصدّونهم بالتزین والتحسین لكلِّ المعاصی؛ حتی ینغمسوا فی کلِّ إثمٍ، ویضلّوا عن سبیل الهدی والرشد، ومع هذا یحسبون أنهم مهتدونَ و غیرهم هم الظالمونَ، وهذا غایةُ السفه والجهل، وقد أخبرَ الرسولُ ﷺ عن أثرِ الذکر فی طردِ الشیطانِ فقال: «الشیطانُ جائِئٌ علی قلبِ ابنِ آدمَ، فإذا ذکرَ اللهَ حَنَسَ وإذا غفلَ وسوسَ»^(١).

من فوائد الذكر:

- ١- أنه یطردُ الشیطانَ.
- ٢- یدخلُ السکینةَ والطمأنینةَ فی القلبِ.
- ٣- أنه غراسُ الجنّةِ.
- ٤- أنه یكونُ نوراً للذاکرِ فی الدنیا، ونوراً له فی قبره، ونوراً له فی معاده.
- ٥- تکفیر للذنوبِ.

(١) رواه البخاری.

أهل الباطل يتبرأ بعضهم من بعض يوم القيامة:

يخبرُ اللهُ تعالى عن العَداءِ الذي يكونُ بين هذا الإنسانِ الكافرِ، وبين قرينه من الشياطينِ يا ليت بيني وبينك بُعد ما بين المشرق والمغرب، فبئس الصاحب القرين لي أنت، حيث أضللتني عن الإيمان.

الظالمون في العذاب مشتركون:

وتكشفُ الآياتُ بعدَ ذلكَ عَمَّا سيُقال لهذا المعرضِ عن ذكر الله، ولقرينه من الشياطينِ على سبيلِ التأنيبِ والتوبيخِ، أيُّها الضالُّون: لن ينفعكم ندمكم وتمنيكم اليومَ شيئاً، وبعدَ أن تبينَ لكم أنكم كنتم ظالمينَ في الدنيا، ومصرينَ على الكفرِ والضلالِ، وأنتم اليومَ وقرناؤكم مشتركون في العذاب.

تثبيت قلب الرسول ﷺ:

يوجهُ اللهُ تعالى خطابَه لنبيه ﷺ ليزيده تسليَةً وتثبيتاً: أيُّها الرسولُ الكريم هل تستطيعُ أن تُسمع الصَّمَّ صوتك، أو أن تهديَ الذين انطمست بصائرهم إلى الطريقِ الحقِّ، أو أن تُخرجَ مَنْ كان في الضلالِ الواضحِ إلى الهدى والرشادِ؟ كلا إنك لن تستطيعَ ذلكَ، لأنَّ الهدايةَ والإضلالَ، منَ اللهِ تعالى وحدهُ، وأنتَ عليك البلاغُ ونحنُ علينا الحسابُ، واقتضى هذا الإعراضُ تهديدَهم بالانتقامِ فاعلمْ يا محمدُ أنَّ هؤلاءِ المعرضينَ عن الهدى تحت قهْرنا، فإذا أمتناك أيُّها الرسولُ قبلَ نزولِ العذابِ بهم، فإننا سننتقمُ منهم في الدنيا أو في الآخرة،

وإن أبقيناك فسترى بعينك العذاب الذي وعدناهم به، فنحن قادرون عليهم، ومتى شئنا عذبناهم.

شرف الاستمساك بالقرآن الكريم:

يأمر الله تعالى نبيه ﷺ بأن يتمسك بالقرآن الكريم؛ لأنه صراط الله المستقيم؛ وأنه شرف عظيم له ولأهل مكة الذين بُعث فيهم بصفة خاصة، ولغيرهم ممن آمن به بصفة عامة كما قال تعالى ﴿وإنه لذكر لك ولقومك﴾ أي: عزُّ وشرفٌ لك ولقومك.

ويوجهُ الله جَلَّتْ قدرتهُ تحذيراً من مخالفةٍ ما اشتمل عليه هذا القرآن من أحكام وآدابٍ وتشريعاتٍ، والسببُ في ذلك أنكم سوف تُسألون يومَ القيامةِ عنه، وعن القيامِ بحقه، وعن مقدارِ تمسُّككم بأوامره ونواهيه وعن شكرِكم لله تعالى على منحكم هذه النعمة.

جميع الأنبياء دعوا إلى التوحيد:

ثم أضاف سبحانه إلى هذا التثبيت لنبيه ﷺ تثبيثاً آخرَ موضحاً أن الدعوة إلى توحيد الله تعالى وتركِ الشركِ أمرٌ قديمٌ من جميعِ الرسلِ فاسأل - أيها الرسول الكريم - أتباعِ الرسلِ السابقين؛ هل أذن الله تعالى بعبادة الأوثان في ملةٍ من الملل؟ سيكون جوابهم (لا)، فجميعُ الرسلِ دعوا إلى عبادةِ الله وحده لا شريكَ له، ونهوا عن عبادةِ الأصنام.

من هداية الآيات:

- ١- ذكُرُ الرحمن وقايةً من الشيطانِ.
- ٢- المؤمنُ يستعيدُ - دائماً - من الشيطانِ.
- ٣- العاصي والشيطانُ يتبرأ بعضُهما من بعض يوم القيامة.
- ٤- صدق وعد الله تعالى لرسوله فإنه ما توفاه حتى أقرَّ عينه بنصره على أعدائه.
- ٥- المتمسكُ بالقرآنِ الكريمِ ينالُ الشرفَ في الدنيا والآخرة.

حوار بين نبي الله موسى عليه السلام وفرعون

الآيات (٤٦-٥٦) من سورة الزخرف

قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِۦ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِآيَاتِنَا إِذَا هُمْ مِنْهَا يَضْحَكُونَ ﴿٤٧﴾ وَمَا نُرِيهِمْ مِّنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِهَا وَأَخَذْنَاهُمْ بِالْعَذَابِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٤٨﴾ وَقَالُوا يَا تَأْتِيهِ السَّحَابُ آدَعٌ لَّنَا رَبِّكَ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْكَ إِنَّا لَمُهْتَدُونَ ﴿٤٩﴾ فَلَمَّا كَشَفْنَا عَنْهُمْ الْعَذَابَ إِذَا هُمْ يَنْكُثُونَ ﴿٥٠﴾ وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِّنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلَا يَكَادُ يُبِينُ ﴿٥٢﴾ فَلَوْلَا أَلْقَىٰ عَلَيْهِ آسُورَةٌ مِّنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلَأِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ﴿٥٣﴾ فَاسْتَحَفَّ قَوْمَهُ، فَاطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ ﴿٥٤﴾ فَلَمَّا ءَاسَفُونَا أَنْقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥٥﴾ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلًا لِّلْآخِرِينَ ﴿٥٦﴾﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
مُعْجِزَةٌ	ءَايَةٌ
يَنْقُضُونَ الْعَهْدَ	يَنْكُثُونَ
أَغْضَبُونَا	ءَاسَفُونَا

المعنى الإجمالي:

مشابهة كفار قريش لفرعون:

لما طعنت قريش بالرسول ﷺ في النبوة بسبب أنه فقير ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرِيبَيْنِ عَظِيمٍ ﴾ ذكر الله تعالى هنا حال فرعون ورفضه لدعوة موسى ﷺ بحجة أنه أكثر مالاً وجاهاً من موسى، وفي ذلك إشارة إلى أن منطق العناد في كل الأزمان واحد.

وقد دعا كليماً الله موسى ﷺ فرعون وقومه بأن يعبدوا الله وحده ويتركوا عبادة غيره، وأن يرسلوا معه بني إسرائيل ليذهب بهم إلى أرض المعاد (فلسطين) فلما جاءهم قال: إني رسول رب العالمين، جئتكم لأمركم بعبادة الله وحده وترك عبادة من سواه، إذ لا يستحق العبادة إلا الله. فطالبوه بالآيات الدالة على صدق دعواه، فلما جاءهم بالآيات العظام والتي منها العصا واليد قابلوهُ بالضحك والسخرية والاستهزاء به، كما يفعل المكذبون مع رسل الله ﷺ وأتباعهم قال تعالى ﴿ وَإِذَا مَرُوا بِهِمْ يَنْغَمِرُونَ ﴾ (٣٠) (١).

عقاب الله تعالى الدنيوي لفرعون وأتباعه:

وقد توالى المعجزات الدالة على صدق نبي الله موسى ﷺ وكل دليل يكون أوضح من سابقه، لعلهم يعودون من الكفر إلى الإيمان لكنهم أصروا على بغيهم فأخذهم الله تعالى بالعذاب الدنيوي، ومنه الجراد والقمل والضفادع والدم، لعلهم يرجعون إلى الحق فيؤمنون، ويوحّدون، ولما عاينوا العقاب، قالوا لموسى - على سبيل التعظيم من شأنه - يا أيها الساحر

(١) سورة المطففين: ٣٠

الذي غلبنا بسحره وعلمه - ولم يكن موسى عليه السلام ساحراً في الحقيقة، بل كان نبياً يُوحى إليه قالوا: ادع لنا ربك بحقِّ عهدِه إليك بالنبوة، لئن كشفَ عنا هذا العذاب الذي نزل بنا إنا لمؤمنون، فدعا موسى عليه السلام رَبَّهُ أَنْ يَكْشِفَ عَنْهُمْ الْعَذَابَ، فَأَجَابَ اللَّهُ دَعْوَتَهُ، لَكِنَّهُمْ اسْتَمَرُّوا عَلَى كُفْرِهِمْ، وَنَقَضُوا مَا عَاهَدُوا مُوسَى عليه السلام عَلَيْهِ.

طغيان فرعون وسفاهة قومه:

ثم قصَّ اللهُ تعالى جانباً من طغيان فرعون، واستخفافه بعقول قومه، وذلك حين جمع زعماء قومه، بعد أن خشى إيمانهم بموسى عليه السلام وقال لهم: أليس أنا المالك لمصر والأنهار التي تشاهدونها تجري من تحت قصرِي، ألا ترون ذلك، وتستدلون به علي عظمة شأني وقلة شأن موسى وذلتِه، بل أنا خيرٌ من هذا الذي هو فقيرٌ ولا يكاد يُظهرُ كلامه، وقد كان لنبيِّ اللهِ موسى عليه السلام عقدةٌ في لسانِه أذهبها اللهُ تعالى عنه بفضلِ دعائه وتضرُّعه قال تعالى ﴿وَاحْتَلَّ عُقْدَةً مِّن لِّسَانِي ﴿٢٧﴾ يَفْقَهُوا قَوْلِي ﴿٢٨﴾﴾^(١)، ومنطقُ فرعون هذا يدلُّ على غروره وكبره، والواقعُ أن الكبرياء والعظمة من صفاتِ اللهِ تعالى، وليس من صفاتِ البشرِ يقولُ رسولُ اللهِ ﷺ: قَالَ اللهُ ﷻ: «الْكِبْرِيَاءُ رِدَائِي، وَالْعِظْمَةُ إِزَارِي، فَمَنْ نَازَعَنِي وَاحِدًا مِنْهُمَا أَدْخَلْتُهُ النَّارَ»^(٢).

ويتمادى فرعونُ في غيِّه فيقول: لو كان موسى عليه السلام ملكاً أو رسولاً، لزيّن نفسه بأساور من ذهب، أو جاء إلينا ومعه الملائكةُ محيطينَ به يؤيدونه في النبوة، وهذا يدلُّ على غروره فطلب

(١) سورة طه: ٢٧ - ٢٨

(٢) صححه الألباني.

فرعون من قومِه أن يؤمنوا به أنه إله، فأجابوه إلى طلبه، لأنهم كانوا قومًا سفهاء وخارجين على طاعتنا، مُؤثِّرِينَ الغيِّ على الرشدِ، ثم بينَ الله سبحانه سوءَ عاقبتهم موضحاً أنَّ فرعونَ وقومَه لما أغضبوا ربَّهم أشدَّ الغضبِ، بسببِ إصرارهم على الكفرِ والعصيانِ، عذَّبهم اللهُ تعالى عذاباً شديداً بأنَّ أغرقهم جميعاً، وكانَ الإغراقُ مناسباً لتفاخرهم وتباهيهم فجعلَ ذلك العقابَ عبرةً لمن بعدهم في الكفرِ.

من هداية الآيات:

- ١- بعثَ اللهُ تعالى موسى عليه السلام لفرعون بالتوحيد.
- ٢- السخريةُ والاستهزاءُ من الرسل عليهم السلام منهجُ المكذِّبينَ في كلِّ العصورِ.
- ٣- أغرق اللهُ تعالى فرعونَ وجنوده؛ بسببِ تكذيبهم لموسى عليه السلام.
- ٤- الاحتقارُ للفقراءِ والازدراءُ بهم من صفاتِ الجبارينَ الظلمةِ المتكبرينَ.
- ٥- الفسقُ يجعلُ صاحبه مطيِّةً لكلِّ ظالمٍ وأداةً يسخرُه كما يشاءُ.
- ٦- التحذيرُ من غضبِ الربِّ تباركُ وتعالى فإنه متى غضبَ انتقمَ فبطشَ.

بيان حقيقة عيسى عليه السلام

الآيات (٥٧-٦٦) من سورة الزخرف

قال تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ ﴿٥٧﴾ وَقَالُوا
 يَا إِلَهَتُنَا خَيْرٌ أَمْ هُوَ مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ إِنَّ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا
 عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿٥٩﴾ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلَفُونَ ﴿٦٠﴾
 وَإِنَّهُ لِعِلْمٌ لِلسَّاعَةِ فَلَا تَمَتُّرْ بِهَا وَاتَّبِعُونِ هَذَا صِرَاطٌ مُسْتَقِيمٌ ﴿٦١﴾ وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ الشَّيْطَانُ
 إِنَّهُ لَكُمْ عَدُوٌّ مُبِينٌ ﴿٦٢﴾ وَلَمَّا جَاءَ عِيسَى بِالْبَيِّنَاتِ قَالَ قَدْ جِئْتُكُمْ بِالْحِكْمَةِ وَلِأُبَيِّنَ لَكُمْ
 بَعْضَ الَّذِي تَخْتَلِفُونَ فِيهِ فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا ﴿٦٣﴾ إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ
 مُسْتَقِيمٌ ﴿٦٤﴾ فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ عَذَابٍ يَوْمِ الْيَوْمِ ﴿٦٥﴾
 هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٦٦﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
يصيحون	يَصِدُّونَ
شديدو الخصومة	خَصِمُونَ
فجأة	بَغْتَةً

المعنى الإجمالي:

مجادلة الكفار للرسول ﷺ:

ورد في سبب نزول قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ أن رسول الله ﷺ قال لقريش: «يَا مَعْشَرَ قُرَيْشٍ، لَا خَيْرَ فِي أَحَدٍ يَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ»، وذكر لهم قول الله تعالى ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَرَدُونَ﴾^(١). فقال ابنُ الزَّبْعَرِيِّ وكان ذلك قبل أن يُسَلَّمَ: يا محمد أليست النصراني يعبدون المسيح، واليهود يعبدون عزيزاً؟ فإن كان هؤلاء في النار، فقد رضينا أن نكون نحنُ وآلهتنا في النار؟ فنزل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا﴾ أي ولما جعل ابنُ الزَّبْعَرِيِّ عيسى بن مريم مثلاً إذ جعله مشابهاً للأصنام من حيثُ أن النصراني اتخذوه إلهاً وعبدوهُ من دونِ الله، وقال إذا كان عيسى والعزير والملائكةُ في النار فقد رضينا أن نكون وآلهتنا معهم فرحَ بهذا المشركون وضجوا بالضحك، وقالوا آلهتنا خيرٌ أم المسيح؟ فقال تعالى لرسوله ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا﴾ أي: ما ضَرَبَ لَكَ ابْنُ الزَّبْعَرِيِّ هذا المثلَ طلباً للحقِّ وبحثاً عنه، وإنما ضربته لك لأجلِ الجِدَلِ والخصومة، وقوله تعالى ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ﴾ أي: مجبولون على الجِدَلِ والخصام.

مكانة عيسى عليه السلام:

بيّن الله تعالى حقيقة عيسى عليه السلام فذكر سبحانه أن عيسى عبدٌ من عبادنا الذين أنعمنا عليهم بنعمة النبوة والرسالة، وجعلنا أمره عجبياً وجديراً بأن يسير ذكره كالأمثال لبني إسرائيل، فقد

(١) سورة الأنبياء: ٩٨

خلقناه من غير أب، وأعطيناه المعجزات الباهرات التي منها: إبراء الأكمه والأبرص وإحياء الموتى بإذن الله تعالى والذي خلق عيسى عليه السلام من غير أب قادر على إحياء الموتى، ثم أكد عز وجل كمال قدرته مبيناً أنه لو شاء إهلاككم أيها الكافرون لفعل، ولجعل ملائكة يخلفونكم في الأرض يعبدون الله فيها، ويعمرونها بدلاً منكم.

من علامات الساعة نزول عيسى عليه السلام آخر الزمان:

ويذكر الحق جلّ وعلا أن عيسى عليه السلام عند نزوله من السماء في آخر الزمان حياً، يكون علامة على قرب قيام الساعة، عن أبي هريرة، قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «والله لينزلن ابن مريم حكماً عدلاً، فليكسرن الصليب، وليقتلن الخنزير، وليضعن الجزية، وليتركن القلاص فلا يسعى عليها، ولتذهبن الشحناء، والتباغض، والتحاسد، وليدعون إلى المال فلا يقبله أحد»^(١)، وفي الآيات دعوة صريحة بأن الساعة آتية لا شك فيها، فاتبعوا أيها الناس ما جاءكم به الرسول صلى الله عليه وسلم، ولا يصرّفنكم الشيطان بوسوسته لكم عن طاعة الرسول صلى الله عليه وسلم واتباعه، فعداوته لكم ظاهرة، وكيدُهُ لكم واضح، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوًّا إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ

السَّعِيرِ ﴿٦﴾^(٢).

دعوة عيسى عليه السلام:

ويوضح الله - تعالى - أن ما دعا إليه نبيُّه عيسى عليه السلام هو توحيد الله جلّ جلاله واتباع التشريعات والتكاليف والمواظب التي أرشدتهم إليها، عن طريق الكتاب الذي أنزله الله

(١) رواه البخاري

(٢) سورة فاطر: ٦

تعالى عليه وهو الإنجيل، مبيّناً أنه جاء بالآداب والتشريعات؛ ليعلمهم إياها، وليفصل لهم ما يختلفون فيه من أمر الدين، ودعاهم إلى التوحيد الخالص في قوله: إِنَّ اللَّهَ هُوَ رَبُّكُمْ فَأَخْلَصُوا لَهُ الْعِبَادَةَ وَالطَّاعَةَ، وهذا الذي أمركم به أو أنهاكم عنه، هو الطريق القويم، الذي يوصلكم إلى السعادة في الدارين.

موقف أهل الكتاب من عيسى عليه السلام:

اختلف النصارى في شأن عيسى عليه السلام وتحزّبوا إلى فرقٍ حيث ذهب بعضهم إلى أنه إله، وقال آخرون إنه ابن الله، كما قال البعض: إنه ثالث ثلاثة - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - ونتيجةً لافتراءهم على عيسى عليه السلام توعدّهم الله تعالى بالعذاب الشديد يوم القيامة بسبب ظلمهم، كما حذّر أهل مكة فينبأ أنهم ما ينتظرون إلا قيام الساعة، وسوف يأتيهم ذلك فجأةً، وحينئذ يندمون ولن ينفعهم الندم.

من هداية الآيات:

١. بَعَثَ اللَّهُ تَعَالَى عِيسَى إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ بِالْحَقِّ وَالتَّوْحِيدِ.
٢. الْكِتَابُ الَّذِي أَنْزَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى عِيسَى عليه السلام هُوَ الْإِنْجِيلُ.
٣. عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ الْعَذَابُ الْأَلِيمُ فِي الْآخِرَةِ.
٤. نَزُولُ عِيسَى عليه السلام عِلَامَةٌ مِنْ عِلَامَاتِ السَّاعَةِ.
٥. اتَّبَاعُ هَدْيِ النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم مُوَصِّلٌ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ عز وجل.

أمان المتقين يوم القيامة

الآيات (٦٧ - ٧٣) من سورة الزخرف

قال تعالى: ﴿الْأَخِلَاءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلَّا الْمُتَّقِينَ﴾ (٦٧) يَلْعَابِدِ لَا خَوْفٌ عَلَيْكُمْ الْيَوْمَ وَلَا أَنْتُمْ تَحْزَنُونَ (٦٨) الَّذِينَ ءَامَنُوا بِتَايِينِنَا وَكَانُوا مُسْلِمِينَ (٦٩) ادْخُلُوا الْجَنَّةَ أَنْتُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ تُحْبَرُونَ (٧٠) يُطَافُ عَلَيْهِمْ بِصِحَافٍ مِّنْ ذَهَبٍ وَأَكْوَابٍ وَفِيهَا مَا تَشْتَهِيهِ الْأَنْفُسُ وَتَلَذُّ الْأَعْيُنُ وَأَنْتُمْ فِيهَا خَالِدُونَ (٧١) وَتِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧٢) لَكُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ كَثِيرَةٌ مِّنْهَا تَأْكُلُونَ (٧٣)

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
الأصحاب	الْأَخِلَاءُ
تنعمون	تُحْبَرُونَ
أوانٍ من ذهب	بِصِحَافٍ

المعنى الإجمالي:

أصدقاء السوء في الدنيا أعداء في الآخرة:

توضح الآية الكريمة أن أصدقاء السوء في الدنيا، يصيرُ بعضهم لبعضٍ يومَ القيامة أعداءً،

لأنهم كانوا يجتمعون على الشرور فيها، ولما انكشفت الحقائق انقلبت صداقتهم إلى عداوة، إلا المتقين فإن صداقتهم في الدنيا تنفعهم في الآخرة، لأنهم أقاموها على الإيمان والعمل الصالح وفي ذلك يقول الرسول ﷺ: «لا تُصاحب إلا مؤمناً ولا يأكل طعامك إلا تقياً»^(١).

فائدة: من آداب الصحبة ما يلي:

كتمان السرّ، وستر العيوب، والسكوت عن تبليغ ما يسوؤه من مذمة الناس إياه، وإبلاغ ما يسره من ثناء الناس عليه، وحسن الإصغاء عند الحديث وترك المراء فيه، وأن يدعو بأحب أسمائه إليه، وأن يثني عليه بما يعرف من محاسنه، ويشكره على صنيعه في حقه، ويذب عنه في غيبته، وينهض معه في حوائجه من غير إحواج إلى التماس، وينصحه باللطف والتعريض، ويعفو عن زلته وهفوته، ولا يعيبه ويدعو له في الخلوة في حياته ومماته، ويظهر الفرح بما يسره والحزن بما يضره، ويضمّر مثل ما يظهره فيه ليكون صادقاً في وده سرّاً وعلناً، ويبدأه بالسلام عند إقباله، وعن فضل المصاحبة في الله - تعالى - يقول النبي ﷺ: «إن الله تبارك وتعالى يقول يوم القيامة: أين المتحابون بجلالي؟ اليوم أظلمهم في ظلي، يوم لا ظل إلا ظلي»^(٢).

وينادي الله تعالى عباده المتقين تشریفاً لهم يا عباد لا خوف عليكم يوم القيامة، ولا أنتم تحزنون فيه على ما فاتكم في الدنيا.

(١) رواه أبو داود في سننه

(٢) رواه مسلم

حقيقة المتقين وجزاؤهم في الآخرة:

ثم بين القرآن الكريم أنّ المتقين الذين ينالون هذا الثواب هم الذين آمنّت قلوبهم وصفت نفوسهم وكانوا منقادين لله ظاهراً وباطناً، وهؤلاء جزاؤهم في الآخرة هم ونسأؤهم وأمثالهم سيكونون في نعيمٍ مقيمٍ، يُسرون ويتلذذون بتلك النعم التي أنعم الله تعالى بها عليهم فإذا دخلوا الجنة، يُطاف عليهم بأطعمة وأشربة في أوانٍ من ذهب، ولهم فيها كلُّ ما تشتهيهِ الأنفس من أنواع المشتهيات، وكل ما تتلذذ به الأعين وتُسّر. عن أبي هريرة أنّ النبي ﷺ قال: «قال الله عزَّ وجلَّ: أعددتُ لعبادي الصالحين ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر»^(١).

وأنتم أيها المؤمنون فيها خالدون خلوداً أبدياً لا نهاية له، ثم يُقال لهم يوم القيامة على سبيل التشريف: وهذه الجنة - التي وصلتتم إليها بسبب أعمالكم الصالحة في الدنيا، فيها - فاكهة كثيرة، وثمار شهية لذيذة، منها تأكلون أكلاً هنيئاً مريئاً.

من هداية الآيات:

١. المؤمنُ يحذرُ من مصاحبةِ الفاسقين.
٢. فضلُ التقوى وعاقبةُ المتقين.
٣. للطائعين ثوابٌ كبيرٌ في الآخرة.
٤. الإيمانُ والعملُ الصالحُ سببٌ في دخولِ الجنةِ.

(١) رواه مسلم

عذاب أهل النار

الآيات (٧٤ - ٨٠) من سورة الزخرف

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُجْرِمِينَ فِي عَذَابٍ جَهَنَّمَ خَالِدُونَ ﴿٧٤﴾ لَا يُفْتَرُ عَنْهُمْ وَهُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ ﴿٧٥﴾ وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ ﴿٧٦﴾ وَنَادَوْا يَمْلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رَبُّكَ قَالَ إِنَّكُمْ مَكِيدُونَ ﴿٧٧﴾ لَقَدْ جِئْتَكُمْ بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَكُمْ لِلْحَقِّ كَادِحُونَ ﴿٧٨﴾ أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ ﴿٧٩﴾ أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَىٰ وَرُسُلْنَا لَدَيْهِمْ يَكْتُمُونَ ﴿٨٠﴾﴾

معاني المفردات:

اللفظ	المعنى
لَا يُفْتَرُ	لا يُخَفَّفُ
مُبْلِسُونَ	يائسون
لِيَقْضِ عَلَيْنَا	ليمتنا

المعنى الإجمالي:

عاقبة المجرمين:

لَمَّا ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى حَالَ الْمُتَّقِينَ فِي الْآيَاتِ السَّابِقَةِ، وَمَا هُمْ فِيهِ مِنْ فَرَحٍ وَسُرُورٍ أَعْقَبَهُ بِذِكْرِ حَالَ الْمَجْرِمِينَ فَيَبِّينُ أَنَّ الْكَافِرِينَ الرَّاسِخِينَ فِي الْإِجْرَامِ سَيَكُونُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِي عَذَابِ جَهَنَّمَ

خالدين فيه خلوداً أبدياً، لا يخفف عنهم العذاب، وهم في أقصى درجات الحزن والذلة واليأس.

ثم بين سبحانه أنّ ما نزل بهؤلاء المجرمين من عذاب كان بسبب كفرهم قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: فما ظلمنا هؤلاء بإنزال هذا العذاب المهين الدائم بهم، ولكن هم الذين ظلموا أنفسهم، باستحبابهم العمى على الهدى، وقد ورد في الحديث القدسي: «يا عبادي، إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً؛ فلا تظالموا»^(١).

نداء الكفار لخازن النار:

ثم بين الله تعالى حال الكفار في نار جهنم فقص علينا بعضاً من أقوالهم بعد نزول العذاب بهم فقد نادوا في ذلة قائلين لخازن النار: (يا مالك ادع لنا ربك كي يمتنا حتى نستريح من هذا العذاب). لكن يجيئهم الرد: إنكم مقيمون فيه بدون موت يريحكم من عذابها، وبدون حياة تجدون معها الراحة والأمان، والسبب في ذلك أي: في خلودكم في النار أن التوحيد جاءكم على السنة رسلنا ولكن أكثركم كان كارهاً لعبادة الله وحده.

وقد ثبت في السنة المطهرة أنه بعد دخول أهل النار فيها ينادي ملك قائلاً: «يا أهل النار

خلود فلا موت»^(٢).

(١) رواه مسلم

(٢) رواه ابن خزيمة

ثم وبَّخهم الله تعالى وفضحهم على مكرهم بقوله: ﴿أَمْ أَبْرَمُوا أَمْرًا فَإِنَّا مُبْرِمُونَ﴾ أي بل أبرم هؤلاء المشركون أمرا يكيدون فيه للرسول ﷺ، ودعوته فإن فعلوا ذلك فإننا مبرمون أي مُحَكِّمون أمراً مضاف لهم بتعذيبهم وإبطال ما أحكموه من الكيد للرسول ﷺ ودعوته وإن كانوا يظنون أن مكرهم يضر نبينا فقد خاب ظنهم، لأن مكرنا أعظم من مكرهم، وكيدنا يزهق كيدهم قال تعالى: ﴿وَمَكْرُوا وَمَكَرَ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَكْرِينَ﴾ (١)، فالمقصود بالآية الكريمة الانتقال من عدم إجابة ندائهم، إلى تأنيبهم على ما كان منهم في الدنيا من مكرٍ بالحق وأهله، وكيف أن هذا المكر السيِّء كانت نتيجته الخسران لهم.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى﴾ والله تعالى يعلم حديثهم مع أنفسهم، وما تكلم به بعضهم مع بعض دون أن يُطلعوا عليه أحداً غيرهم، ورسلنا الذين يحفظون عليهم أعمالهم، ملازمون لهم ويسجلون عليهم كل صغيرة وكبيرة. ورؤي أن ثلاثة نفر قالوا وهم تحت أستار الكعبة فقال أحدهم أترون أن الله يسمع كلامنا؟ فقال أحدهم إذا جهرتم سمع، وإذا أسررتهم لم يسمع وقال الثاني إن كان يسمع إذا أعلنتم فإنه يسمع إذا أسررتهم فنزلت ﴿أَمْ يَحْسَبُونَ أَنَّا لَا نَسْمَعُ سِرَّهُمْ وَنَجْوَاهُمْ بَلَى﴾ أي نسمع سرهم ونجواهم.

فائدة:

السِر: ما يسرونه في أنفسهم من وسائل المكر بالنبي ﷺ.
وبالنجوى: ما يتناجون به بينهم في ذلك بحديث خفي.

(١) سورة آل عمران: ٥٤

من هداية الآيات:

- ١- الكفارُ مخلدونَ في النار.
- ٢- أرسلَ اللهُ تعالى الرّسلَ حتى لا تكونَ للناسِ حجةٌ يومَ القيامةِ.
- ٣- لكلِّ إنسانٍ ملكٌ ملازمٌ يسجّلُ عليه أعماله.
- ٤- لا يظلمُ اللهُ تعالى الناسَ شيئاً.
- ٥- لا يحقُّ المكرُّ السيِّءُ إلاّ بأهلهِ.

تنزيه الله تعالى عن الولد والشريك والصاحبة

الآيات (٨١ - ٨٩) من سورة الزخرف

قال تعالى: ﴿قُلْ إِنْ كَانَ لِلرَّحْمَنِ وَلَدٌ فَأَنَا أَوَّلُ الْعَبِيدِ﴾ ٨١ ﴿سُبْحَانَ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ ٨٢ ﴿فَذَرَهُمْ يَخْضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ ٨٣ ﴿وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌُ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌُ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْعَلِيمُ﴾ ٨٤ ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ ٨٥ ﴿وَلَا يَمْلِكُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِهِ الشَّفَعَةَ إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ ٨٦ ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَهُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ﴾ ٨٧ ﴿وَقِيلَ لَهُ يَرْبِّ إِنَّ هَؤُلَاءِ قَوْمٌ لَا يُؤْمِنُونَ﴾ ٨٨ ﴿فَأَصْفَحْ عَنْهُمْ وَقُلْ سَلِّمْ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ﴾ ٨٩

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
تعظيم وتقديس	وَتَبَارَكَ
طلب الخير للغير	الشَّفَعَةَ
يصرفون	يُؤْفَكُونَ
سامح	فَأَصْفَحَ

المعنى الإجمالي:

مجادلة أهل الباطل بالعقل:

يأمرُ الله تعالى رسوله ﷺ أن يجادلَ أهلَ مكةَ بالعقل؛ إظهاراً لوحدايةِ الله تعالى وتنزيهاً لذاته العلية عن الصاحبة والولد، فقلْ - أيها الرسول - للمشركين: إنَّ صحَّ بالبرهانِ أنَّ للرحمنِ ولداً فأنا أولُ العابدينَ لهذا الولدِ، لكنَّه لم يصحَّ بالحُجَّةِ أن ولداً للرحمنِ، لما يترتَّبُ عليه من مشابهة الخالق للمخلوقين، وهو تعالى منزَّهٌ عن مشابهة الحوادثِ من خلقه، يقول تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ (١)، فهو تعالى ربُّ السماواتِ وربُّ الأرضِ ربُّ العرشِ العظيمِ، فكيف يتخذُ من خلقه ولداً؟ تنزَّه وتقدَّس اللهُ العظيم الجليلُ عما يصفه به الكافرونَ من نسبةِ الولدِ إليه.

قال سبحانه: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ (٢).

افتراء كفار قريش على الله تعالى:

ثم نزه الله ﷻ ذاته عن أقوال المفتريين من أن يكون له ولدٌ أو شريكٌ وتوعدهم قائلاً لرسوله ﷺ إذا كان أهلُ الباطلِ لا يستجيبون لك - أيها الرسول الكريم - فاتركهم يخوضون في باطلهم، وينهمكون في لعبهم حتى يأتي يوم القيامة، الذي سنحاسبهم فيه حساباً عسيراً، ونعاقبهم بالعقوبة التي يستحقونها.

(١) سورة الشورى: ١١

(٢) سورة الإخلاص: ١ - ٤

ويؤكدُ الله - سبحانه - أنه هو الإلهُ الحقُّ وأنَّ كلَّ ما عداه باطلٌ، وهو وحده المعبودُ بحقٍّ في السماءِ، والمعبودُ بحقٍّ في الأرضِ، وهو الحكيمُ في صنعهِ وتدييره العليمُ بأحوالِ خلقه فهلُّ مثله تعالى يفتقرُ إلى زوجةٍ وولدٍ تعالى اللهُ عن ذلك علواً كبيراً.

ثناء الله تعالى على ذاته:

يمدحُ اللهُ تعالى ذاته العليَّة حيثُ قالَ: ﴿وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا﴾ أي: تَمَجَّدَ وتعظَّم فهو المستحقُّ لذلك فقد ثبتَّ خيره وزادَ إنعامه، فهو الذي له ملكُ السماواتِ والأرضِ، وله ملكُ ما بينهما من مخلوقاتٍ أخرى لا يعلمها أحدٌ سواه، وعندهُ وحدهُ لا عندَ غيره العلمُ التامُّ بوقتِ قيامِ الساعةِ، وإليه وحدهُ مرجعُكم للحسابِ.

أهل الحق تنالهم الشفاعة:

لما ذكرَ تعالى في الآيةِ السابقة أنَّ رجوعَ الناسِ إليه يومَ القيامةِ، وكانَ المشركونَ يزعمونَ أنَّ آلهتهم من الملائكةِ وغيرها تشفعُ لهم يومَ القيامةِ، واتخذوا هذا ذريعةً لعبادتهم فأعلمهمُ تعالى في هذه الآيةِ أن من يدعونهم بمعنى يعبدون من الأصنام والملائكةِ وغيرهم من دونِ الله لا يملكونَ الشفاعةَ لأحدٍ، فاللهُ وحدهُ هو الذي يملكُ الشفاعةَ ويعطيها لمن يشاءُ، والشفاعةُ تعني: طلبَ الخيرِ للغيرِ، وطلبُها من الله تعالى يكونُ بخروجِ الناسِ من النارِ ودخولهم الجنةَ، أو رفعِ درجاتٍ في الجنةِ، وقوله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهِدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: أن من شهدَ بأنَّه لا إلهَ إلا اللهُ، وهو يعلمُ ذلكَ علماً يقينياً فهذا قد يشفعُ له الملائكةُ أو الأنبياءُ بإذنِ الله تعالى. وقوله: ﴿وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ أي: بقلوبهم ما شهدوا به بألسنتهم فالموحدون تنالهم الشفاعةُ

بإذنِ الله تعالى. وقوله تعالى: ﴿وَلَيْنَ سَأَلْتَهُمْ﴾ أي: ولئن سألت هؤلاء المشركين من خلقهم لأجابوك قائلين: الله! فسبحان الله كيف ينصرفون عن الحق بعد معرفته، يدركون أن الله تعالى هو الخالق لهم ويعبدون غيره ويتركون عبادته، وهذا عنادٌ وهو أشدُّ أنواع الكفرِ.

تضرع الرسول ﷺ إلى ربه:

وقوله ﴿وَقِيلَهُ﴾ أي يعلم الله قول النبي ﷺ إن هؤلاء قوم لا يؤمنون، وذلك بعدما شاهد عنادهم شكاهم إلى ربه تعالى فأمره أن يصفح عنهم، أي: يتجاوز عما يلقاه منهم من شدة وعنيت، وقد كان هذا شأنه ﷺ مع المخالفين له يدعو لهم، ويحرص على هدايتهم، عن أبي هريرة قال: قيل يا رسول الله ادع على المشركين قال: «إني لم أبعث لعاناً، وإنما بعثت رحمة»^(١)، كما أمره تعالى أن يقول لهم: سلامٌ، وهو سلامٌ متاركةٍ لا سلامٌ تحيةٍ وتعظيمٍ أي: قل لهم أمري سلامٌ. فسوف تعلمون عاقبة هذا الإصرار على الكفر والتكذيب، فكان هذا منه تهديداً لهم بذكر ما ينتظرهم من أليم العذاب إن ماتوا على كفرهم.

من هداية الآيات:

- ١- المجادلة بالحسنى من أساليب الدعوة.
- ٢- الله وحده يعلم موعد الساعة.
- ٣- الصفح والحلم من أخلاق الدعوة.
- ٤- الرسل والملائكة السليمة والصالحون يشفعون بإذن الله يوم القيامة.

(١) رواه مسلم

بين يدي سورة الدخان

التعريف بالسورة الكريمة:

هذه السورة الكريمة رقمها في المصحف أربع وأربعون، وعدد آياتها تسع وخمسون آية، ونزلت بعد سورة الزخرف.

سورة الدخان مكية، وهي تتناول أهداف السور المكية (التوحيد، الرسالة، البعث)؛ لترسيخ العقيدة وتثبيت دعائم الإيمان.

سُميت سورة الدخان بهذا الاسم؛ لأن الله تعالى جعل الدخان آيةً لتخويف كفار قريش؛ بسبب تكذيبهم للرسول ﷺ وبعث الله تعالى عليهم الدخان؛ حتى كادوا يهلكوا، ثم نجَّاهم الله تعالى بعد ذلك ببركة دعاء النبي ﷺ.

أهم محاور السورة الكريمة:

١. ابتدأت السورة الكريمة بالحديث عن القرآن الكريم المعجزة الخالدة إلى يوم الدين، وعن إنزاله في ليلة مباركة من أفضل ليالي العمر وهي ليلة القدر.
٢. ثم تحدّثت عن موقف المشركين من هذا القرآن العظيم.
٣. وكذلك أخبرت عن قوم فرعون، وما حلَّ بهم من العذاب والنكال نتيجة الطغيان والإجرام.
٤. وتناولت السورة الكريمة إنكار مشركي قريش للبعث والنشور.
٥. وُختمت السورة الكريمة ببيان مصير الأبرار ومصير الفجار، بطريق الجمع بين الترغيب والترهيب، والتبشير والإنذار.

نزول القرآن الكريم في ليلة القدر

الآيات (١ - ٨) من سورة الدخان

قال تعالى: ﴿حَمَّ ١﴾ وَالْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ مُبَرَّكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾ فِيهَا يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ ﴿٤﴾ أَمْرًا مِّنْ عِنْدِنَا إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴿٥﴾ رَحْمَةً مِّنْ رَبِّكَ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦﴾ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا إِن كُنْتُمْ مُوقِنِينَ ﴿٧﴾ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ ﴿٨﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
ليلة القدر من رمضان	لَيْلَةٍ مُّبَرَّكَةٍ
مخوفين	مُنذِرِينَ
يفصل	يُفْرَقُ
مؤمنين مصدقين	مُوقِنِينَ

المعنى الإجمالي:

إعجاز القرآن الكريم:

بدأ الله تعالى السورة الكريمة بالحروف المقطعة التي يفوض علمها إلى منزلها وهو الله

تعالى، وأفضل ما قيل في معناها: الله تعالى أعلم بمراده منها، وقد أفادت هذه الحروف فوائد قد تقدّم ذكرها في السور السابقة.

ثم أقسم الله تعالى بالقرآن الكريم الفارق بين طريق الهدى والضلال، البين في إعجازه الواضح في أحكامه على أنه قد أنزله الله تعالى في أفضل ليلة وهي ليلة القدر.

فضل ليلة القدر:

بعد أن أقسم الله تعالى على أنه أنزل القرآن الكريم في ليلة فاضلة كريمة هي ليلة القدر من شهر رمضان المبارك، قال تعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَىٰ وَالْفُرْقَانِ﴾^(١) وقال جلّ وعلا ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةِ الْقَدْرِ﴾^(٢) بين سبحانه وتعالى وصف هذه الليلة بأنها مباركة، وقد وُصفت ليلة القدر بالبركة لما يُنزل الله تعالى فيها على عباده من البركات والخيرات والثواب. وقد ذكر بعض أهل العلم عن كيفية إنزاله فيها أنه أنزل إلى السماء الدنيا جملة واحدة في تلك الليلة، ثم نزل به جبريل عليه السلام على النبي صلى الله عليه وسلم مُفرقاً في ثلاثة وعشرين عاماً ليحذر الناس عذاب يوم القيامة، حيث لا يُنجي منه إلا بالإيمان والعمل الصالح، فمن رحمة الله سبحانه وتعالى أن لا يترك الناس من دون إنذار وتحذير من العقاب لتقوم عليهم الحجة، قال تعالى: ﴿رُسُلًا مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾^(٣).

(١) سورة البقرة: ١٨٥

(٢) سورة القدر: ١

(٣) سورة النساء: ١٦٥

وقد بينَ اللهُ تعالى صفةً أخرى من صفاتِ ليلةِ القدرِ المباركةِ أَنَّهُ يُفصِّلُ وَيُبَيِّنُ فيها كلَّ أمرٍ محكمٍ، مما قضى اللهُ تعالى أن يتمَّ في تلكِ السنَةِ، من أحداثٍ في الكونِ، ومن أرزاقِ العبادِ وآجالهمِ وسائرِ أحوالهمِ من الموتِ والحياةِ والغنى والفقْرِ والصحةِ والمرضِ والتوليةِ والعزلِ، ويؤخذُ ذلكَ القضاءُ المحكمُ من كتابِ المقاديرِ في اللوحِ المحفوظِ.

فكلُّ ما يُقدَّرُ في تلكِ الليلةِ، وما يوحي به إلى الملائكةِ من شؤونِ العبادِ هو أمرٌ حاصلٌ من اللهِ تعالى، بعلمِهِ وتدبيرِهِ، ولذا أرسلَ اللهُ ﷻ الأنبياءَ والرسلَ إلى البشرِ بالشرائعِ الإلهيةِ، لهدايتِهِم وإرشادِهِم، ومن أجلِ الرحمةِ والرأفةِ بالعبادِ، فهو سبحانه وتعالى السميعُ لأقوالِهِم وأصواتِهِم، العليمُ بحاجتِهِم هو وحدهُ أهلُ الثناءِ والحمدِ.

الله تعالى رب السماوات والأرض:

ثم بينَ سبحانه وتعالى أَنَّهُ رَبُّ السماواتِ والأرضِ وما بينهما ومالكُهُما ومدبرُهُما ومسيرُهُما كيفما شاءتِ حكمتهُ، وكيفَ لا؟ وهو ﷻ الذي أنزلَ القرآنَ.

فإن كُنتم أئِها المشركونَ من أهلِ الإيمانِ واليقينِ بأنَّهُ هو سبحانه رَبُّ السماواتِ والأرضِ، فاعبدوه وحدهُ، فإنَّهُ لا إلهَ إلا هو، ولا رَبَّ غيرُهُ، ولا معبودَ سواه، لأنَّهُ المتصفُ بصفاتِ الجلالِ والكمالِ، يحيي الأمواتَ، ويميتُ الأحياءَ، خالقكم وخالقُ من سبقكم من الأممِ الماضيةِ، فإن كان اللهُ تعالى المنزَّلُ للقرآنِ الكريمِ موصوفاً بصفاتِ الجلالِ والكمالِ، فإنَّ القرآنَ الكريمَ المنزَّلَ في غايةِ الشرفِ والرفعةِ.

من هداية الآيات:

- ١- إثباتُ إعجازِ القرآنِ الكريمِ.
- ٢- نزولُ القرآنِ الكريمِ في ليلةِ القدرِ.
- ٣- بيانُ فضلِ ليلةِ القدرِ وأنها من أفضلِ الليالي المباركةِ.
- ٤- بعثُ الله تعالى الرسلَ ﷺ لإندارِ الناسِ من عذابِ يومِ القيامةِ.
- ٥- كلُّ صفاتِ الجلالِ والكمالِ ثابتةٌ لله ﷻ.

تهديد ووعيد

الآيات (٩ - ١٦) من سورة الدخان

قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ فِي شَكِّ يَلْعَبُونَ ﴿٩﴾ فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ﴿١٠﴾ يَغْشَى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿١١﴾ رَبَّنَا اكْشِفْ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ ﴿١٢﴾ أَفَنَى لَهُمُ الذِّكْرَى وَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مُّبِينٌ ﴿١٣﴾ ثُمَّ تَوَلَّوْا عَنْهُ وَقَالُوا مُعَلِّمٌ مِّثْلُ نَحْنُ ﴿١٤﴾ إِنَّا كَاشِفُو الْعَذَابِ قَلِيلًا إِنَّكُمْ عَائِدُونَ ﴿١٥﴾ يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَى إِنَّا مُنْتَقِمُونَ ﴿١٦﴾﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
فانتظر	فَارْتَقِبْ
يُحِيطُ	يَغْشَى
أعرضوا	تَوَلَّوْا
نأخذ بقوة	نَبْطِشُ

المعنى الإجمالي:

موقف المشركين من التوحيد:

يخبرُ اللهُ تعالى في هذه الآيات عن شكِّ المشركين، وأنَّهم على الرَّغمِ من إقرارهم بأنَّ الله تعالى هو ربُّ السماواتِ وربُّ الأرضِ وربُّ الخلقِ أجمعين، إلا أنَّ هذا الإقرارَ لم يكن عن

يقين، لأنهم لو كانوا على يقين لما أنكروا توحيد الله تعالى وكفروا به سبحانه، لذا هم في شك من أمر البعثِ ساخرين مستهزئين، لعدم تمييزهم بين الحق والباطل.

صدق وعد الله تعالى في المشركين:

ثم يخاطبُ الله تعالى حبيبه محمداً ﷺ تسلياً له: فانتظر يا محمد عذابهم يوم تأتي السماء بدخان كثيف بين واضح، يراه كلُّ أحدٍ، ويشملُ كفار قريش ويعمُّهم من كلِّ جانب، ويقولون حين يصيبهم الدخان فزعاً وخوفاً: (هذا عذاب أليم)، ثم يقولون مستغيثين: (ربنا أرفع عنا العذاب فإننا مؤمنون بمحمد وبالقرآن إن كشفتَه عنا).

■ سبب نزول قوله تعالى: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشى النَّاسَ هَذَا

عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١﴾: نزلت هذه الآية بعد أن دعا رسول الله ﷺ على قريش يوم كثر استهزاؤهم وسخريتهم منه، وبما جاء به من الدين الحق، فقال: اللهم اجعلها عليهم سنين كسني يوسف أي سبع سنين من القحط والجذب، فأمره ربه أن ينتظر، فقال له: ﴿فَارْتَقِبْ يَوْمَ تَأْتِي السَّمَاءُ بِدُخَانٍ مُّبِينٍ ۝١٠ يَغْشى النَّاسَ هَذَا عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝١١﴾ واستجاب الله تعالى لرسوله ﷺ، وأصاب قريشاً بقحط وجذب ومات فيه مواشيهم، وأصابهم الجوع حتى أكلوا العهن بالدم، وكان الرجل يرفع رأسه إلى السماء فلا يرى إلا دخاناً يُغشي بصره من شدة الجوع، حتى تضرعوا إلى الله تعالى، وبعثوا إلى الرسول ﷺ يطلبون منه أن يدعو الله تعالى أن يرفع عنهم هذا العذاب.

فائدة: العهن هو الصوف وكانوا يصبغونه بالدم ويأكلونه من شدة الجوع.

موقف مشركي قريش من بعثة النبي ﷺ :

ثم يقول الله تعالى مستبعداً لإيمان المشركين عند كشف العذاب ﴿ **أَنِّي لَهُمُ الذِّكْرَىٰ** ﴾، أي من أين يتذكرون ويتعظون عند كشف العذاب؟

فإنه قد أتاهم رسول بين الرسالة، مؤيد بالمعجزات الباهرة، ومع هذا كان موقفهم منه كالآتي:

(١) لم يؤمنوا به ولم يتبعوه.

(٢) أعرضوا عنه وبهتوه.

(٣) نسبوا الجنون إليه.

(٤) ومنهم من قال بأن محمداً يعلمه بشر، قال تعالى ﴿ **وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ** ﴾^(١) بالرغم من ذلك الإعراض من المشركين، إلا أن الرسول ﷺ كان رحيماً بهم، ودعا الله تعالى لهم بكشف العذاب، فكشف الله تعالى عنهم العذاب، ونزل الغيث بديارهم، وسعدوا بعد شقاء دام سبع سنوات، ومع ذلك عادوا إلى الشرك وحرب الإسلام والمسلمين.

وعيد الله تعالى للمشركين يوم القيامة:

ثم يخاطب الله تعالى رسوله ﷺ بقوله ﴿ **يَوْمَ نَبْطِشُ الْبَطْشَةَ الْكُبْرَىٰ** ﴾، أي: وارتقب يا

(١) سورة النحل ١٠٣

رسولنا يومَ نأخذُ المشركين بقوةٍ وعنفٍ يومَ القيامةِ، انتقاماً منهم؛ لكفرهم وصدّهم عن الحقِّ، ويكونُ جزاؤهم نارَ جهنّم، فالبطشةُ ليستُ اعتداءً على المشركين، بل هي جزاءٌ لما قدّموا من تكذيبٍ وإيذاءٍ لرسولِ الله ﷺ.

فالبطشةُ هي جزاءٌ من جنسِ العملِ، ليرى الكافرونَ ثمرةَ كفرهم وعنادهم فيتحسّرونَ ويندمونَ ويتألّمونَ ويرى المؤمنونَ ثمرةَ إيمانهم، وكيف أن الله نجّاهم بالإيمان فيفرحون بالجنة والنعيم.

وقد بين العلماء وقت حدوث البطشة الكبرى على قولين:

القول الأول: يوم بدر، حيث انتقم الله تعالى منهم فقتل رجالهم بل كبراءهم، وأسر من أسر منهم، وكانت بطشة لم تعرفها قريش من قبل.

القول الثاني: يوم القيامة، وهو القول الأرجح؛ لأن الله تعالى قد وصفها بالكبرى، ولأن الانتقام التام إنما يحصل يوم القيامة.

من هداية الآيات:

١. استجاب الله تعالى لدعاء الرسول ﷺ.
٢. افتراءت مشركي قريش على النبي ﷺ.
٣. قابل مشركو قريش دعوة الرسول ﷺ بالجحود والنكران.
٤. إخبار القرآن الكريم بالغيب دلالة أنه وحّي من الله تعالى.

الاعتبار بمصير الظالمين

الآيات (١٧ - ٣٣) من سورة الدخان

قال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ فَتَنَّا قَبْلَهُمْ قَوْمَ فِرْعَوْنَ وَجَاءَهُمْ رَسُولٌ كَرِيمٌ ﴿١٧﴾ أَنْ أَذُوا إِلَيْكَ عِبَادَ اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٨﴾ وَأَنْ لَا تَعْلُوا عَلَى اللَّهِ إِنِّي آتِيكُمْ بِسُلْطَنِ مُبِينٍ ﴿١٩﴾ وَإِنِّي عُدْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُمْ أَنْ تَرْجُمُونِ ﴿٢٠﴾ وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَأَعَزِلُونِ ﴿٢١﴾ فَدَعَا رَبَّهُ أَنْ هَتَوْلَاءَ قَوْمٌ مُجْرِمُونَ ﴿٢٢﴾ فَأَسْرِبِعَادِي لَيْلًا إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَأَتْرَكَ الْبَحْرَ رَهْوًا إِنَّهُمْ جُنْدٌ مُغْرَقُونَ ﴿٢٤﴾ كَمْ تَرَكُوا مِنْ جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٢٥﴾ وَزُرُوعٍ وَمَقَامٍ كَرِيمٍ ﴿٢٦﴾ وَنَعْمَةً كَانُوا فِيهَا فَانْكَبِينَ ﴿٢٧﴾ كَذَلِكَ وَأُورَثْنَهَا قَوْمًا آخَرِينَ ﴿٢٨﴾ فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنظَرِينَ ﴿٢٩﴾ وَلَقَدْ بَجْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ مِنَ الْعَذَابِ الْمُهِينِ ﴿٣٠﴾ مِنْ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ كَانَ عَلِيًّا مِنَ الْمُسْرِفِينَ ﴿٣١﴾ وَلَقَدْ أَخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٣٢﴾ وَءَاثِنَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ مَا فِيهِ بَلَتْؤًا مُبِينٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
اختبرنا	فَتَنَّا
لا تطغوا	لَا تَعْلُوا
اعتصمتُ واستجرتُ بربي	عُدْتُ بِرَبِّي
ممهلين ومؤخرين إلى يوم القيامة	مُنظَرِينَ

المعنى الإجمالي:

تسليّة الرسول ﷺ:

يبينُ اللهُ تعالى في هذِ الآيات قصةَ موسى ﷺ مع فرعونَ، لوجودِ تشابهٍ بينَ أكبرِ مجرمي قريشٍ وبينَ فرعونَ في ظلمه وعلوه، والقصدُ من هذهِ القصةِ: تسليّةُ الرسول ﷺ، وتخفيفُ ألمِ النفسِ من جرّاءِ ما يلاقي من مجرمي قريشٍ في مكة.

فقد بعثَ اللهُ تعالى إلى قومِ فرعونَ رسولاً شريفاً حسبِ والنسبِ، ومنَ أكرمِ عبادِ اللهِ تعالى وهوَ موسى بنُ عمرانَ عليه أفضلُ الصلاةِ والتسليمِ، فقالَ لهم: ادفعوا إليّ عبادَ اللهِ من بني إسرائيلِ وأطلقوهم من العذابِ وأرسلوهم معي إنّي لكم رسولٌ أمينٌ على رسالتي صادقٌ في قولي، ولا تطغوا على اللهِ تعالى فتكفروا به وتعصوه فيما يأمرُكم به وينهاكم عنه، فقد جئتكم بحجةٍ بينةٍ واضحةٍ على صحةٍ ما أطلبُكم به، وقد استجرتُ وتحصنتُ بربي وربكم من أن ترموني بالكذبِ، أو تفتروا عليّ كذباً، وإن لم تؤمنوا أو تصدّقوا ما جئتكم به فخلوا سبيلي واتركوني، ثم دعا عليهم لما كذبوه قائلاً: (ياربّ إن هؤلاء قومٌ مجرمونَ فانتقم منهم).

آية البحر:

أوحى اللهُ تعالى لموسى ﷺ، أن يخرجَ بمن آمنَ من بني إسرائيلَ في الليلِ، وأعلمه أن فرعونَ وجنوده سيّبعونهم؛ لكي يرُدّوهم وينكلوا بهم.

ثم أمر الله تعالى موسى عليه السلام أَنْ يَضْرِبَ الْبَحْرَ بِعَصَاهُ وَهُوَ بَحْرُ الْقُلْزُمِ الْمَعْرُوفُ الْيَوْمَ بِالْبَحْرِ الْأَحْمَرِ، فَلَمَّا ضَرَبَ الْبَحْرَ، انْفَلَقَ الْبَحْرُ فَلَاقَتَيْنِ وَدَخَلَ مُوسَى عليه السلام وَمَنْ آمَنَ مَعَهُ فَاجْتَازُوهُ بِأَمْرِ اللَّهِ قَالَ تَعَالَى ﴿ فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أَضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ فَانْفَلَقَ فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ ﴾ (٦٣) (١).

هلاك فرعون وجنوده:

ولمَّا أَرَادَ مُوسَى عليه السلام أَنْ يَضْرِبَ الْبَحْرَ لِيَلْتَمَّ كَمَا كَانَ حَتَّى لَا يَدْخُلَهُ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ فَيَدْرِكُوهُمْ، أَوْحَى اللَّهُ تَعَالَى لَهُ بِأَنْ يَتْرِكَ الْبَحْرَ سَاكِنًا كَمَا كَانَ حِينَ دَخَلُوهُ، حَتَّى إِذَا دَخَلَ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ أَطْبَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَجَعَلَهُمْ مِنَ الْمَغْرِقِينَ وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ جَزَاؤُهُمْ، فَقَدْ نَجَّى اللَّهُ تَعَالَى مُوسَى وَبَنِي إِسْرَائِيلَ الَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ، وَأَغْرَقَ فِرْعَوْنَ وَجُنُودَهُ أَجْمَعِينَ، قَالَ تَعَالَى ﴿ فَأَلْيَوْمَ نُنَجِّيكَ بِبَدْنِكَ لَنُكَوِّنَ لِمَنْ خَلَقْنَا آيَةً وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنْ آيَاتِنَا لَغَافِلُونَ ﴾ (٩٢) (٢).

تدوم النعم بالطاعات وتزول بالمعصية:

وقد أخبر الله تعالى عن النعم التي كان فيها فرعون وجنوده؛ وقد تركوا الكثير من البساتين والعيون الجارية التي تسقى فيها الزروع، ومنازل حسنة وأماكن احتفال مزينة بأنواع الزينة، ومتعاً عظيمةً كانوا فيها ناعمين مترفين، ثم سلبهم الله تعالى هذه النعم؛ لكفرهم به وتعاليمهم على شرائعه وأوليائه، وأورث هذه النعم قوماً آخرين وهم بنو إسرائيل، إذ رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون.

(١) سورة الشعراء: ٦٣

(٢) سورة يونس: ٩٢

وبالرَّغْمِ مِنْ أَنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمَهُ كَانُوا يَسْتَعْظَمُونَ أَنْفُسَهُمْ، وَيَتَفَاخَرُونَ عَلَى الْخَلْقِ كِبْرًا وَتَجْبَرًا،
إِلَّا أَنَّهُمْ ذَهَبُوا صَغَارًا أَذْلَاءَ تَافِهِينَ، فَلَمْ يَحْزَنْ عَلَى فِرَاقِهِمْ أَحَدٌ، وَلَمْ يَبْكِهِمْ أَهْلُ السَّمَاءِ وَلَا
أَهْلُ الْأَرْضِ، وَهَكَذَا تَكُونُ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ، وَلَمْ يَمَهْلِهِمُ اللَّهُ تَعَالَى وَلَمْ يُؤَخِّرْ عِقَابَهُمْ إِلَى يَوْمِ
الْقِيَامَةِ بَلْ عَاجَلَهُمْ بِالْعُقُوبَةِ.

نعم الله تعالى على بني إسرائيل:

وبعد أن أهلك الله تعالى فرعونَ وقومَه، بيّن إحسانَه إلى بني إسرائيل بما يلي:

١ - نَجَّاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ وَالْإِهَانَةِ وَالْإِذْلَالِ الَّذِي وَقَعَ عَلَيْهِمْ مِنْ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ؛ حَيْثُ كَانَ
فِرْعَوْنُ يَذْبَحُ أَبْنَاءَهُمْ، وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ لِلخِدْمَةِ وَالْامْتِهَانِ.

٢ - قَدْ اخْتَارَ اللَّهُ تَعَالَى بَنِي إِسْرَائِيلَ وَفَضَّلَهُمْ عَلَى غَيْرِهِمْ مِنْ عَالَمِي الْإِنْسِ وَالْجِنِّ فِي
زَمَانِهِمْ.

٣- أَعْطَاهُمْ مِنَ الْآيَاتِ وَالْعَلَامَاتِ الظَّاهِرَةِ كَانْفِلاقِ الْبَحْرِ، وَتَظْلِيلِ الْغَمَامِ لَهُمْ، وَالْمَنْ
وَالسَّلْوَى وَكُلُّ ذَلِكَ كَانَ لِحِكْمَةٍ وَهِيَ أَنْ تَكُونَ هَذِهِ الْآيَاتُ اخْتِبَارًا عَظِيمًا، لَكِنْ فَشَلَ
بَنُو إِسْرَائِيلَ فِي الْاِخْتِبَارِ وَكَفَرُوا بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى، وَحَرَّفُوا التَّوْرَةَ وَقَتَلُوا الْأَنْبِيَاءَ،
فَغَضِبَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَيْهِمْ وَسَلَّطَ عَلَيْهِمْ مِنْ يُشَرِّدُهُمْ فِي الْأَرْضِ، وَكَتَبَ عَلَيْهِمُ الذُّلَّ
وَالْمَهَانَةَ وَالْمَسْكَنَةَ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿ضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ أَيْنَ مَا تَقِفُوا إِلَّا بِحَبْلٍ مِنَ اللَّهِ وَحَبْلِ
مِنَ النَّاسِ وَبَاءُوا بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الْمَسْكَنَةُ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا يَكْفُرُونَ بِآيَاتِ
اللَّهِ وَيَقْتُلُونَ الْأَنْبِيَاءَ بِغَيْرِ حَقِّ ذَلِكَ بِمَا عَصَوْا وَكَانُوا يَعْتَدُونَ﴾ (١١٢).

(١) سورة آل عمران ١١٢.

من هداية الآيات:

١. في ذكرِ اللهِ تعالى لقصصِ الأممِ السابقة؛ تسليةً للرسول ﷺ ولأخذِ العظةِ والعبرةِ.
٢. بيانُ قصةِ إهلاكِ اللهِ تعالى لفرعونَ وقومهِ.
٣. سنةُ اللهِ تعالى نصرُ المؤمنينَ وإهلاكُ الظالمينَ.
٤. ذمُّ العلوِّ والتكبرِ في الأرضِ.
٥. أعطى اللهُ تعالى بني إسرائيلَ الكثيرَ من الآياتِ اختباراً وابتلاءً.

الرد على منكري البعث

الآيات (٣٤ - ٣٩) من سورة الدخان

قال تعالى : ﴿ إِنَّ هَؤُلَاءِ لَيَقُولُونَ ﴿٣٤﴾ إِنَّ هِيَ إِلَّا مَوْتَتُنَا الْأُولَىٰ وَمَا نَحْنُ بِمُنشَرِينَ ﴿٣٥﴾ فَاتُوا بِآبَائِنَا إِن كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٣٦﴾ أَهْمٌ خَيْرٌ أَمْ قَوْمٌ تُبَعِّعُ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ أَهْلَكْنَاهُمْ إِنَّهُمْ كَانُوا مُجْرِمِينَ ﴿٣٧﴾ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَلْعِبَادِ ﴿٣٨﴾ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٩﴾ ﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
مبعوثين	بِمُنشَرِينَ
هو تبع الحميري أحد ملوك اليمن.	قَوْمٌ تُبَعِّعُ
لاهيين	لَلْعِبَادِ

المعنى الإجمالي:

إنكار المشركين للبعث:

بعد أن ساق الله تعالى ما حدث لفرعون وقومه من الإغراق والهلاك وزوال الملك

والسلطان، أَخْبَرَ عن كفار قريش الذين لا يختلفُ موقفهم من رسول الله ﷺ ودعوته، عن موقفِ فرعونَ وقومه، فهم يغالون في الكفرِ والعدوانِ، ويكذبون بالبعث بقولهم: لا توجدُ إلا موتةٌ واحدةٌ هي الموتةُ الأولى التي لا حياةَ بعدها ولا نشورَ، ولن نُبعثَ أحياءً من قبورنا كما تعدُّنا يا محمدُ، ودلُّوا على قولهم بأنه لو كانت حياةٌ ثانيةٌ كما تدَّعي فأرجعوا آباءنا الذين ماتوا إن كنتم صادقين فيما تقولون من البعثِ والجزاءِ.

وعندما خاطبَ المشركونَ النبيَّ ﷺ بقولهم ﴿إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ ليسَ من بابِ تعظيمِ الرسول ﷺ، وإنما من بابِ التعجيزِ.

وعد الله تعالى بإهلاك المكذبين:

توعَّد الله تعالى في هذه الآيةِ الكريمةِ هؤلاء المكذبينَ بالبعثِ من كفارِ قريش، وأنكرَ عليهم ما قالوه في إنكارِ البعثِ والجزاءِ، وذكرهم بأنهم ليسوا أكرمَ على الله تعالى ممن سبقهم من أقوامٍ، وليسوا بأقوى من قوم تبع الحميري وهو أحد ملوك اليمن، الذي قاد جيوشه ودار بهم الأرضَ وقهر أهلها، وغزا بلاد الصين، وهابته الملوك ومع ذلك لم تمنعهم قوتهم من الهلاكِ، وكذلك قوم نوح وعاد وثمود وفرعون، الذين أشركوا بالله وعصوا الرسلَ، وأصروا على الاستمرارِ في الكفرِ والإجرامِ، وأنكروا البعثَ بعد الموتِ، فأهلكهم الله تعالى بذنوبهم، وفي بيانِ ما حلَّ بهؤلاء الأقسامِ من الهلاكِ تحذيرِ لكفارِ قريش، أن يسلكوا طريقهم، فيأخذهم الله بكفرهم كما أخذ الذين من قبلهم، ويحلُّ بهم أيضاً ما حلَّ بمن قبلهم من دمارٍ وهلاكٍ؛ لأنَّهم أجزموا على أنفسهم بالشركِ والعصيانِ.

الرد على منكري البعث والجزاء:

وقد ردَّ اللهُ تعالى على كلِّ من أنكر عقيدة البعث والجزاء بأمرين:

١ - بيان عظيم قوته وكمال قدرته سُبْحَانَ اللَّهِ، حيث خلق الله سُبْحَانَ اللَّهِ السماوات والأرض وما بينهما، فهو تعالى لم يخلق كلَّ ذلك عبثاً، بل أوجد ذلك كله لحكمة بالغة وهي قيام الناس بتوحيد الله تعالى، ومعرفة ما يجب له من صفات الكمال والجلال، فهو سبحانه ما خلق الكون إلا ليذكر فيه ويشكر، فمن شكره أكرمه الله تعالى وجازاه بأحسن الجزاء، ومن كفر به أهانه وجازاه بأسوأ الجزاء، في الدنيا والآخرة.

٢ - جهل المشركين بالله تعالى، فالمشركون بإنكارهم للبعث والجزاء، وإنكارهم للحياة بعد الموت، قد قصرت عقولهم عن إدراك الحكمة من وراء هذا الخلق، فمن دلائل حكمة الله تعالى وعظمته وعدله، أنه قد جعل الدنيا دار عمل وابتلاء، وجعل الآخرة دار حساب وجزاء، قال تعالى ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ﴾^(١).

من هداية الآيات:

- ١- إنكار المشركين لعقيدة البعث والجزاء.
- ٢- الهلاك سنة الله تعالى في المجرمين.
- ٣- خلق السماوات والأرض وما بينهما من مظاهر قدرة الله تعالى في الكون.
- ٤- الجزاء من جنس العمل.
- ٥- الدنيا دار ابتلاء والآخرة هي دار الجزاء.

(١) سورة المؤمنون: ١١٥

مشاهد من يوم الفصل

الآيات (٤٠ - ٥٠) من سورة الدخان

قَالَ تَعَالَى: ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ مِيقَتُهُمْ أَجْعِيعٌ ﴿٤٠﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي مَوْلَى عَنْ مَوْلَى شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤١﴾ إِلَّا مَنْ رَحِمَ اللَّهُ إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ﴿٤٢﴾ إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ الْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَالْمُهْلِ يَغْلِي فِي الْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلِيِّ الْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ خُذُوهُ فَأَعْتَلُوهُ إِلَى سَوَاءِ الْجَحِيمِ ﴿٤٧﴾ ثُمَّ صُبُّوا فَوْقَ رَأْسِهِ مِنْ عَذَابِ الْحَمِيمِ ﴿٤٨﴾ ذُوقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
يوم القيامة	يَوْمَ الْفَصْلِ
موعد جمعهم	مِيقَتُهُمْ
جروه بغلظة وشدة.	فَاعْتَلُوهُ
وسط النار	سَوَاءِ الْجَحِيمِ

المعنى الإجمالي:

جمع الناس لفصل القضاء:

يذكرُ الله تعالى في هذه الآياتِ الحقيقةَ التي يجبُ أن تستقرَّ في عقولِ الناسِ وقلوبهم،

وهي أن هناك ميقاتاً للحساب والجزاء، وذلك في يوم القيامة عندما يفصل الله تعالى فيه بالقضاء والحكم بين الناس فيما اختلفوا فيه من التوحيد والشرك، قال تعالى: ﴿ هَذَا يَوْمُ الْفَصْلِ جَمَعْنَاكُمْ وَالْأُولَىٰ ۗ ۚ فَإِنْ كَانَ لَكُمْ كَيْدٌ فَكِدُونِ ۗ ۚ وَبَلِّغُوا لِلْمُكذِبِينَ ۗ ۚ ﴾ (١).

ففي هذا اليوم ميعاد الناس، فيحضرون فيه أجمعين، ولا يستطيع قريبٌ دفع شيءٍ من العذاب عن قريبه كابن العم أو ابن الخال، ولا صديقٌ عن صديقه، ولا ينصرُ بعضهم بعضاً كما كانوا في الدنيا ينتصرون بقرابتهم وبصداقتهم لبعضهم البعض، قال تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَعِضُ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا ۗ ۚ ﴾ (٢).

فالأمر في يوم القيامة بيد الله تعالى لن يرحم في الآخرة إلا من وفقه الله تعالى في الدنيا للإيمان والعمل الصالح، فينال الشفاعة من نبيٍّ أو عملٍ صالحٍ (كالصيام وقراءة القرآن) أو قريبٍ من أقربائه كالشهيد، ويظله في ظله يوم لا ظلَّ إلا ظله، عن أبي هريرة، عن رسول الله ﷺ، قال: «إِذَا مَاتَ ابْنُ آدَمَ انْقَطَعَ عَمَلُهُ إِلَّا مِنْ ثَلَاثٍ: مِنْ صَدَقَةٍ جَارِيَةٍ، أَوْ عِلْمٍ يُنْتَفَعُ بِهِ، أَوْ وَلَدٍ صَالِحٍ يَدْعُو لَهُ» (٣)، فله سبحانه الأمر كله في هذا اليوم، فهو العزيزُ الغالبُ في انتقامه من أعدائه، الرحيمُ بأوليائه وهم المؤمنون المتقون.

مصير الكافرين:

ثم بين الله تعالى أن مصير أعدائه من الكافرين الفاجرين المجرمين هو النار، وبين سبحانه

(١) سورة المرسلات ٣٨ - ٤٠

(٢) سورة الفرقان: ٢٧ - ٢٨

(٣) صحيح ابن خزيمة

وتعالى ما فيها من ضروب العذاب كما يلي:

١- طعامهم شجرة الزقوم وهي شجرة خبيثة تنبت في أصل النار، وطلعها كأنه رؤوس الشياطين في القبح، وثمرها مرُّ أشدَّ المرارة، إذا أكلها الآثمون غلَّت في بطونهم كالزيت الذي يغلي من شدة الحرارة، والأثيم صيغةً مبالغة تعني الفاجر كثير الآثام، وقد نزلت هذه الآية في أبي جهل حيث كان يقول في الدنيا سخريةً واستهزاءً بكلام الله تعالى: يعدُّنا محمدٌ أن في جهنم الزقوم، وإنما هو الشريدُّ بالزبد والتمر، ثم يأتي بالزبد والتمر ويقول لأصحابه: تزقموا هذا هو الزقوم الذي يهددنا به محمدٌ.

٢- يقول الله تعالى للزبانية: خذوا هذا الفاجر اللئيم فسوقوه وجُروه من رقبتِه بعنفٍ وشدةٍ إلى وسطِ الجحيم، ثم صبُّوا فوق رأسِ هذا الفاجر عذابَ ذلك الحميم الذي تنهى حرُّه، ويُقال له تهكمًا وسخريةً ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ أي هذا العذاب الذي تقاسون والجزاء الذي تلاقون؛ بسبب ما كنتم تنكرون وتشكِّون في الدنيا أن هذا العذاب كائنٌ يومَ القيامة.

سبب نزول قوله تعالى: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾ ﴿٤٩﴾ إِنَّ هَذَا مَا كُنْتُمْ بِهِ تَمْتَرُونَ ﴿٥٠﴾ قال عكرمة: التقى النبي ﷺ بأبي جهل، فقال النبي ﷺ: إِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقُولَ لَكَ ﴿أَوْلَىٰ لَكَ فَأَوْلَىٰ﴾ أَي لَكَ الْهَلَاكُ مِنَ اللَّهِ، فَقَالَ: بِأَيِّ شَيْءٍ تُهَدِّدُنِي! وَاللَّهِ مَا تَسْتَطِيعُ أَنْتَ وَلَا رَبُّكَ أَنْ تَفْعَلَا بِي شَيْئًا، إِنِّي لَمِنَ أَعَزِّ هَذَا الْوَادِي وَأَكْرَمِهِ عَلَى قَوْمِهِ، فَقَتَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى يَوْمَ بَدْرٍ وَأَذَلَّهُ وَنَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ.

من هداية الآيات:

- ١- تقريرُ عقيدةِ البعثِ والجزاءِ بذكرِ مشاهدٍ من يومِ القيامةِ.
- ٢- يومُ القيامةِ هو يومُ الفصلِ وميعادُ الخليقةِ كلّها حيثُ تجتمعُ لفصلِ القضاءِ.
- ٣- لا تنفعُ قرابةٌ ولا خلّةٌ ولا صداقةٌ يومَ القيامةِ، ولكن الإيمانُ والعملُ الصالحُ.
- ٤- عِظَمُ عذابِ النارِ وفضاعتهُ.
- ٥- أهلُ النارِ يعدّ بهم اللهُ تعالى بالعذابِ الجسديِّ والعذابِ النفسيِّ.

ألوان النعيم الذي أعده الله تعالى للمتقين

الآيات (٥١-٥٩) من سورة الدخان

قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي مَقَامٍ أَمِينٍ ﴿٥١﴾ فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ ﴿٥٢﴾ يَلْبَسُونَ مِنْ سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُتَقَابِلِينَ ﴿٥٣﴾ كَذَلِكَ وَزَوَّجْنَاهُمْ بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾ يَدْعُونَ فِيهَا بِكُلِّ فَاكِهَةٍ ءَامِنِينَ ﴿٥٥﴾ لَا يَذُوقُونَ فِيهَا الْمَوْتَ إِلَّا الْمَوْتَةَ الْأُولَىٰ وَوَقَّاهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ﴿٥٦﴾ فَضَلَّامِن رَّبِّكَ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿٥٧﴾ فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ ﴿٥٨﴾ فَأَرْتَقِبْ إِنَّهُمْ مُّرْتَقِبُونَ ﴿٥٩﴾﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
يطلبون	يَدْعُونَ
نجاهم	وَوَقَّاهُمْ
سهلناه	يَسَّرْنَاهُ
فانتظر	فَأَرْتَقِبْ

المعنى الإجمالي:

نعيم المتقين:

تميّز القرآن الكريم بأسلوب الترغيب والترهيب، لأنه كتاب دعوة وهداية، زيادة على أنه

كتابُ تشريعٍ وأحكامٍ، ولذا لما ذكرَ اللهُ تعالى في الآياتِ السابقةِ حالَ أهلِ النارِ، وجزأؤهم يومَ القيامةِ، عَقَّبَ عليه في هذه الآياتِ بذكرِ حالِ أهلِ الجنةِ، وما يلاقونه من نعيمٍ.

فأخبرَ اللهُ تعالى أنَّ الذين اتَّقوه في الدنيا، فأمنوا به ولم يشركوا وأطاعوه في أمره ونهيه، فهؤلاء في مقامٍ أمينٍ، أي في مجلسٍ آمنٍ لا يلحقهم فيه خوفٌ، ويأمنون فيه من الآفاتِ والمنغصاتِ والمكاره.

وقد بينَ اللهُ ﷻ حالَ أهلِ الجنةِ في ذلكَ المقامِ الأمينِ بما يلي:

- ١- كونهم ﴿فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ﴾ أي في حدائقٍ وبساتينٍ ناضرةٍ وعيونٍ جاريةٍ.
- ٢- أنَّ ثيابَ أهلها الحريرُ الرقيقُ منه وهو السندسُ والسميكُ منه وهو الإسترقيُّ.
- ٣- يكونون في الجنةِ على سُرُرٍ متقابلينَ، ليستأنسَ بعضهم بحديثِ بعضٍ.
- ٤- يزوجهم اللهُ تعالى بالحوَرِ العينِ، والحوَرُ جمعُ مفردِها حوراءُ، والحوراءُ: هي التي في عيناها كحلٌّ وملاحةٌ وحسنٌ وبهاءٌ، والعَيْنُ: أي حَسَانُ الأعينِ، وحُسْنُ العينِ في الأنثى من أعظمِ الأدلةِ على حُسْنِها وجمالِها.
- ٥- يطلبون من أهلِ الخدمةِ إحصارَ جميعِ أنواعِ الفواكهِ في الجنةِ، لأنَّهم آمنون من التَّخَمِ والأمراضِ، فلا تعبَ في الجنةِ ولا وصبَ، عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسولُ اللهِ ﷺ: «فِي الْجَنَّةِ مَا لَا عَيْنٌ رَأَتْ، وَلَا أذُنٌ سَمِعَتْ، وَلَا خَطَرَ عَلَى قَلْبٍ بَشَرٍ»^(١).

(١) صحيح الترغيب والترهيب للألباني.

نعيم الجنة دائم لا ينقطع:

في الجنة نعيمٌ دائمٌ لا ينقطع، فأهلها لا يذوقون الموتَ بعدَ الموتِ الأولى التي ذاقوها في الدنيا، لأنهم لا يمرضون ولا يهرمون ولا يموتون، إضافةً إلى كلِّ ذلك النعيمِ يجنَّبهم اللهُ تعالى ويحفظهم وينجيهم من عذابِ النارِ، فكلُّ ذلك النعيمِ والتكريمِ فضلاً من الله تعالى لعباده المتقين، إذ لم يستوجبوا الجنةَ لمجردِ تقواهم بل دخلوها برحمةِ اللهِ تعالى، وذلك مصداقاً لما روته أم المؤمنين السيدة عائشة رضي الله عنها، عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال: «سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يدخلُ أحداً الجنةَ عمله. قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: ولا أنا، إلا أن يتغمَّدني الله بمغفرةٍ ورحمةٍ»^(١).

فالنجاةُ من النارِ ودخولُ الجنةِ هو الفوزُ العظيمُ الذي لا فوزَ بعده والذي ينتظرُه كلُّ مسلمٍ، قالَ تعالى: ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَإِنَّمَا تُوَفَّقُ أُجُورَكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَمَنْ زُحِرَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ﴾^(٢).

موعظة وذكرى:

ويأتي ختامُ السورةِ ليلتقيَ مع بدئها في بيانِ فضلِ القرآنِ الكريمِ الذي أنزلَ في ليلةٍ مباركةٍ رحمةً للعبادِ، فهو نعمةٌ كبرى، بل هو من أجلِّ النعمِ وأفضلِها، ولقد يسَّره اللهُ تعالى للذكرِ، وأنزله بلسانِ العربِ كي يفهموه ويتدبروا ما فيه، ويتعظوا ويتذكروا عاقبةَ أمرهم، فإمَّا أن يؤمنوا ويتَّقوا ويؤخِّدوا، وإمَّا أن يُشركوا وتقومَ عليهم الحُجَّةُ بشركهم.

(١) رواه البخاري

(٢) سورة آل عمران: ١٨٥

ولكن للأسف فأكثرهم لم يتعظ بما فيه، لذا فانتظر يا رسولنا الكريم ما سيحلُّ بهم من هلاكٍ، فإنهم كذلك منتظرون ما يكون لك من نجاحٍ أو إخفاقٍ، وسيعلمون لمن تكون النصرُ والظفرُ في الدنيا والآخرة، وقد حملت هذه الآية وعداً للرسول ﷺ ووعيداً للمشركين، فسوءُ العاقبة مصيرُ المشركين، والنصرُ والتمكينُ هو حليفُ المؤمنين.

من هداية الآيات:

- ١- الترغيبُ والترهيبُ أسلوبٌ من أساليبِ القرآنِ الكريمِ.
- ٢- بيانُ جزاءِ المتقينِ.
- ٣- نعيمُ أهلِ الجنةِ دائمٌ لا ينقطعُ.
- ٤- بيانُ الحكمةِ من تسهيلِ القرآنِ باللغةِ العربيةِ للذكرى والموعظةِ.

بين يَدَي سِوَرَةِ الْجَائِيَةِ

التعريف بالسورة الكريمة:

هذه السورة الكريمة رقمها في المصحف خمس وأربعون، وعدد آياتها ٣٧ نزلت بعد الدخان وهي مكية، وقد تناولت العقيدة الإسلامية في إطارها الواسع «الإيمان بالله تعالى، ووحدانيته، الإيمان بالقرآن ونبوة محمد ﷺ، الإيمان بالآخرة والبعث والجزاء.

سُميت سورة الجاثية بهذا الاسم؛ نسبة إلى جثو الخلائق على الركب من الفرع في انتظار الحساب، بسبب الأهوال التي يلقاها الناس يوم القيامة.

وأهم محاور السورة:

١- تحدّثت السورة في البدء عن القرآن الكريم المنزّل من عند الله تعالى بالحقّ، ليكون نبراساً مضيئاً يبيّن للبشرية طريق السعادة والخير.

٢- ذكرت السورة الآيات الكونية المنبثة في هذا العالم الفسيح وما فيها من أدلة وبراهين على وحدانية ربّ العالمين، من خلق السماوات والأرض، وخلق البشر وسائر الأنعام والمخلوقات وتعاقب الليل والنهار، وتسخير الرياح والأمطار، فكلّها شواهد ناطقة بعظمة الله وجلاله وقدرته ووحدانيته.

٣- ثمّ تحدّثت عن المجرمين المكذّبين بالقرآن، الذين يسمعون آياته المنيرة، فلا يزدادون إلا استكباراً وطغياناً، وأنذرهم بالعذاب الأليم في دركات الجحيم.

٤- تحدّثتُ السورةُ عن نِعَمِ اللهِ تعالى الجليلةِ على عباده؛ ليشكروهُ، ويتفكروا في آلائهِ التي أسبغها عليهم، ويعلموا أنّ اللهَ وحدهُ مصدرُ هذه النِّعمِ، الظاهرةِ والباطنةِ، وأنّه لا خالقَ ولا رازقَ إلا اللهُ تعالى.

٥- ثم تحدّثتُ السورةُ عن إكرامِ اللهِ تعالى لبنيِ إسرائيلَ بأنواعِ التكريمِ، ومقابلتهم ذلكَ الفضلَ والإحسانَ بالجحودِ والعصيانِ، وذكرتُ موقفَ الطغاةِ المجرمينَ من دعوةِ الرسلِ الكرامِ، ثم بيّنتُ سببَ ضلالِ المشركينَ، وهو إجرامهم واتخاذهم الهوى إلهاً ومعبوداً.

٦- وختمتُ السورةُ بذكرِ الجزاءِ العادلِ يومَ الدينِ، حيثُ ينقسمُ الناسُ إلى فريقينِ: فريقٍ في الجنةِ، وفريقٍ في السَّعيرِ.

إفرادُ الله تعالى بالوحدانيَّةِ

الآيات (١-٦) من سورة الجاثية

قال تعالى: ﴿حَمَّ ١﴾ تَنْزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴿٢﴾ إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَآيَاتٍ لِّمُؤْمِنِينَ ﴿٣﴾ وَفِي خَلْقِكُمْ وَمَا يَبُثُّ مِنْ دَابَّةٍ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٤﴾ وَأَخْلَفَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ مِنَ السَّمَاءِ مِنْ رِزْقٍ فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ آيَاتٌ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٥﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ تَنْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ فَيَأْتِي حَدِيثٌ بَعْدَ اللَّهِ وَءَايَاتُهُ يُؤْمِنُونَ ﴿٦﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
ينشرُ ويفرِّقُ	يُؤثُّ يَبُثُّ
علاماتٌ أو دلائلُ	آيَاتٌ
يُصَدِّقُونَ عَنْ إِذْعَانٍ وَيَقِينُ	يُوقِنُونَ
تقليبِ الرِّيحِ يَمِيناً وَيساراً	وَتَصْرِيفِ الرِّيْحِ

المعنى الإجمالي:

تعظيم القرآن الكريم:

ابتدأ اللهُ ﷻ الآياتِ بالحروفِ المقطعة؛ للتنبيهِ على إعجازِ القرآنِ الكريمِ، وأمَّا معناها

فَاللَّهُ تَعَالَى أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ، وَسَبَقَ التَّنْبِيهُ إِلَى فَوَائِدِ ذِكْرِ الْحُرُوفِ الْمُقَطَّعَةِ فِي بَدَايَةِ السُّورِ
السَّابِقَةِ.

ثُمَّ يَخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى خَبْرًا يَتَضَمَّنُ الْأَمْرَ بِتَعْظِيمِ الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ وَالِاعْتِنَاءِ بِهِ، وَأَنَّ هَذَا الْقُرْآنَ
مَنْزُلٌ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ تَعَالَى، الْعَزِيزِ فِي مُلْكِهِ وَالْحَكِيمِ فِي صُنْعِهِ.

الإرشادُ إلى التفكيرِ في آياتِ اللهِ تعالى:

ثُمَّ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى جُمْلَةً مِنَ الْآيَاتِ الدَّالَّةِ عَلَى وَحْدَانِيَّتِهِ وَعَظَمَةِ قُدْرَتِهِ فَأَرْشَدَ النَّاسَ إِلَى
النَّظَرِ فِيهَا حَتَّى يَنْتَفِعُوا بِهَا وَقَدْ ذَكَرَ اللَّهُ تَعَالَى ثَلَاثَةَ أَصْنَافٍ مِنَ النَّاسِ هُمُ الَّذِينَ انْتَفَعُوا مِنْ
النَّظَرِ وَالتَّفَكُّرِ فِي خَلْقِ اللَّهِ تَعَالَى، الصَّنْفُ الْأَوَّلُ: الْمُؤْمِنُونَ وَقَدْ انْتَفَعُوا بِالنَّظَرِ فِي عَظَمِ خَلْقِ
السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا فِيهِمَا مِنَ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْكَائِنَاتِ الَّتِي تَبَعَتْ فِي النَّفْسِ قُوَّةَ الْإِيمَانِ
بِرَبِّ الْعَالَمِينَ، فَالْإِنْسَانُ إِذَا تَأَمَّلَ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَظَمَتَهُمَا وَتَدَبَّرَهُمَا عَلِمَ أَنَّهُ لَا بَدَّ
لَهُمَا مِنْ صَانِعٍ فَامَنَّ بِاللَّهِ جَلَّ جَلَالُهُ.

الصَّنْفُ الثَّانِي: الْمُؤْمِنُونَ وَقَدْ انْتَفَعُوا بِالنَّظَرِ فِي خَلْقِ الْإِنْسَانِ وَتَطَوُّرِهِ مِنْ نَظْفَةٍ ثُمَّ عِلْقَةٍ ثُمَّ
مَضْغَةٍ إِلَى تَمَامِ الْخَلْقِ، وَمَا فِيهِ مِنْ أَجْهَةٍ تَعْمَلُ ضَمَنْ تَنَاسَقٍ عَجِيبٍ، وَانْتَفَعُوا بِالنَّظَرِ فِيمَا
خَلَقَهُ اللَّهُ تَعَالَى مِنْ أَنْوَاعِ الْمَخْلُوقَاتِ الَّتِي تُدْبُّ عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ فَكُلُّهَا آيَاتٌ بَاهِرَاتٌ لِقَوْمٍ
يَصَدِّقُونَ عَنْ يَقِينٍ فَالْإِنْسَانُ إِذَا نَظَرَ فِي خَلْقِ نَفْسِهِ وَخَلْقِ الْكَائِنَاتِ وَمَا فِيهَا مِنْ تَنَاسَقٍ عَجِيبٍ
ازدادَ يَقِينًا بِوَحْدَانِيَّةِ اللَّهِ تَعَالَى.

الصف الثالث: العقلاء فقد انتفعوا بالنظر في تعاقب الليل والنهار في نظام عجيب هذا بظلامه وذاك بضياؤه بنظام مُحكم دقيق، قال تعالى: ﴿لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾^(١)، وكذلك انتفعوا فيما أنزله الله تبارك وتعالى من المطر الذي به حياة البشر في معاشهم وأرزاقهم، قال ابن كثير رحمه الله: وسمى الله تعالى المطر رزقاً؛ لأنَّ به يحصل الرزق، وبعد نزوله تحيا الأرض بالمطر بعدما كانت هامدة يابسة لا نبات فيها ولا زرع، فأخرج الله تعالى فيها من أنواع الزروع والثمرات والنبات ما لا يعلمه إلا الله تعالى ثم يخبرُ الله ﷻ عن تقلب الرياح شمالاً وجنوباً باردة وحارة، فالإنسان إذا نظر إلى الليل والنهار والمطر والحياة كمل عقله وزاد إيمانه ويقينه بوجود الله تعالى ووحدانيته.

فائدة: اليقين مرتبة تأتي بعد الإيمان بالله تعالى فمن حازهما فهو الموصوف بالعقل؛ ومن فقدهما فهو كالأنعام بل أضلَّ.

إعراض الكافرين عن الحق:

ثم يؤكد الله ﷻ أن هذه آيات الله وحججه وبراهينه الدالة على وحدانيته وقدرته نقصها عليك يا محمد بالحق المبين، الذي لا غموض فيه ولا التباس، وإذا لم يصدق كفار مكة بكلام الله تعالى ولم يؤمنوا بحججه وبراهينه فبأي كلام يؤمنون ويصدقون؟ والغرض من الاستفهام استعظام تكذيبهم للقرآن الكريم بعد وضوح بيانه وإعجازه.

(١) سورة يس: ٤٠

مِن هداية الآيات:

- ١- تفرّد الله ﷻ بصفات الكمال.
- ٢- ذكّر الله ﷻ بعضاً من مخلوقاته؛ ليرشد الإنسان إلى دلائل خلقه في الكون.
- ٣- تطوّر خلق الإنسان شاهداً على قدرة الله ﷻ.
- ٤- التأمّل في الكون يقودنا إلى الإيمان بالله تعالى.
- ٥- الكفّار مُعرضون عن الاستجابة للحقّ وأدلتِهِ.

الويل والعذاب لكل أفاك أثيم

الآيات (٧ - ١١) من سورة الجاثية

قال تعالى: ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ أَفَّاكٍ أَثِيمٍ ﴿٧﴾ يَسْمَعُ آيَاتِ اللَّهِ تُنَلَّى عَلَيْهِ ثُمَّ يُصِرُّ مُسْتَكْبِرًا كَأَن لَّمْ يَسْمَعْهَا فَبَشِّرْهُ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٨﴾ وَإِذَا عَلِمَ مِنْ آيَاتِنَا شَيْئًا اتَّخَذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ ﴿٩﴾ مِّن وَرَائِهِمْ جَهَنَّمُ وَلَا يُغْنِي عَنْهُمْ مَا كَسَبُوا شَيْئًا وَلَا مَا اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ ﴿١٠﴾ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿١١﴾ هَذَا هُدًى وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ لَهُمْ عَذَابٌ مِّن رِّجْزِ أَلِيمٍ ﴿١١﴾﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
كذاب	أَفَّاكٍ
السفن	أَفَّاكٍ
أشد العذاب	رِجْزٍ

المعنى الإجمالي:

الويل للأفاك الأثيم:

ابتدأت الآيات بالوعيد العظيم لكل أفاك أثيم مبالغ في اقتراف الذنوب؛ وسبب ذلك

الوعيد أمران:

الأمرُ الأولُ: هو أنه يسمعُ (آياتِ القرآنِ) وهي في غايةِ الوضوحِ والبيانِ فيُعَرَضُ عنها ويستكبرُ كأنَّ لم يسمِعْها، فيدومُ على حاله من الكفرِ ويتمادى في الضلالةِ، فكانتِ النتيجةُ بشارَةً له، ولكنْ بماذا؟

بالعذابِ الشديدِ المؤلمِ وسُمِّاه اللهُ بشارَةً تهكِّمًا وسخريةً به، لأنَّ البشارَةَ هي الخبرُ السارُّ.

وقد نزلتْ في النَّضْرِ بنِ الحارثِ، كان يشتري أحاديثَ الأعاجمِ ويشغلُ بها الناسَ عن استماعِ القرآنِ الكريمِ.

الأمرُ الثاني: إذا بُلِّغَ الكافرُ شيئاً من الآياتِ التي أنزلها اللهُ على محمدٍ ﷺ سخرَ واستهزأَ بها.

عقوبة الأفاكين المستهزين بآيات الله ﷻ :

فكانت عقوبة الأفاكين المستهزين هي العذاب الشديد مع الذل والإهانة، وهذا من تمام عدلِ اللهِ ﷻ، فالعقوبة مناسبة لعظمِ الجرمِ الذي وقع فيه، ويصفُ اللهُ ﷻ العقابَ؛ ترهيباً للناسِ وتخويفاً فجهمٍ تنتظرهم لما كانوا فيه من التكبرِ عن الحقِّ، وكلُّ ما ملكوه في الدنيا من المالِ والولدِ لا ينفعهم عندَ اللهِ ﷻ فالأصنامُ التي عبدوها من دونِ اللهِ تعالى زاعمين أنها تقربهم إلى اللهِ زوراً وبهتاناً لا تنفعهم يومَ القيامةِ، فكان استحقاقهم للعذابِ الدائمِ والمؤلمِ جزاءً مناسباً لهم.

فائدة: الكذب من الأخلاق الذميمة التي حذر منها الله ﷻ ورسوله ، وهو خلق قبيح مردّه إلى الغشّ والخيانة، فإذا كان الكذب مذموماً فيما يجري بين الناس وله عذابٌ عظيمٌ مصداقاً لقول النبي ﷺ: «إياكم والكذب؛ فإنّ الكذب يهدي إلى الفجور، وإنّ الفجور يهدي إلى النار، وإنّ الرجل ليكذب ويتحرّى الكذب حتى يكتب عند الله كذاباً؛ وعليكم بالصدق، فإنّ الصدق يهدي إلى البرّ، وإنّ البرّ يهدي إلى الجنة، وإنّ الرجل ليصدق ويتحرّى الصدق حتى يكتب عند الله صديقاً» (١)، فما بالنا بالكذب على الله تعالى وهو أعظم الكذب؟! قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ ﴾ (٢).

فينبغي الحذر من الكذب والابتعاد عنه والاتصاف بالصدق الذي هو صفة الأنبياء والمرسلين

عليهم السلام.

القرآن الكريم هداية الله تعالى للبشر

يؤكد الله ﷻ أنّ القرآن هادٍ لجميع البشر بقوله: ﴿ هَذَا هُدًى ﴾ أي هذا القرآن يهدي إلى معرفة الله تعالى بصفاته المقدسة وأفعاله الحميدة، ومعرفة رسوله الكرام، ويهدي إلى الأعمال الصالحة ويدعو إليها، ويبيّن الأعمال السيئة وينهى عنها، ويهدي إلى بيان الجزاء على الأعمال، كما أنّه يبيّن الجزاء الدنيوي والأخروي وقد قال عزّ من قائل: ﴿ إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴾ (٣).

(١) رواه أبو داود

(٢) سورة العنكبوت: ٦٨

(٣) سورة الإسراء: ٩

وأما الذين جحدوا بما في القرآن الكريم من الآيات الدالة على الحق ولم يصدقوا بها، فقد عاقبهم الله ﷻ بأن لهم عذاباً من رجز أليم أي لهم عذاب مؤلم موجع من أسوأ العذاب يوم القيامة.

من هداية الآيات:

- ١- توعد الله ﷻ المكذبين بآياته بالعذاب الأليم يوم القيامة.
- ٢- عاقب الله الكفار بالعذاب المقرون بالذل والهوان؛ نتيجة استهزائهم بآيات الله تعالى.
- ٣- شر الناس من يسمع آيات الله تعالى فيستهزئ بها.
- ٤- القرآن الكريم نور للقلوب وضياء للعقول وذهاب للهموم.

نعم الله تعالى على عباده

الآيات (١٢ - ١٥) من سورة الجاثية

قَالَ تَعَالَى: ﴿اللَّهُ الَّذِي سَخَّرَ لَكُمْ الْبَحْرَ لَتَجْرَى الْفُلُكُ فِيهِ بِأَمْرِهِ وَلِيَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ ۗ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ (١٢) وَسَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ ۗ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٣﴾ قُلْ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا يَغْفِرُوا لِلَّذِينَ لَا يَرْجُونَ أَيَّامَ اللَّهِ لِيَجْزِيَ قَوْمًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿١٤﴾ مَن عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ۖ وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١٥﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
ولتطلبوا	وَلِيَبْتَغُوا
يتجاوزوا ولا يؤاخذوا على السيئات	يَغْفِرُوا
ثواب الله وعقابه	أَيَّامَ اللَّهِ

المعنى الإجمالي:

مخلوقات الله تعالى في خدمة الإنسان:

يخبرُ اللهُ تعالى عن فضله على عباده، وإحسانه إليهم، فهو سُبْحَانَ اللَّهِ ذَلَّ الْبَحْرَ عَلَى ضَخَامَتِهِ وَعَظَمَتِهِ لَعَدَّةٍ مِّنَ النَّاسِ:

١- سَيَّرَ الْمَرَكَبَ وَالسَّفْنَ عَلَى سَطْحِهِ بِمَشِيَّتِهِ وَإِرَادَتِهِ دُونَ أَنْ تَغْرُقَ فِيهِ.

٢- لَتَسَافِرُوا بِتِجَارَاتِكُمْ عَلَيْهِ وَلَتَطْلُبُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ تَعَالَى.

٣- تَتَنَفَعُونَ بِالْغَوْصِ فِيهِ فَتَحْصِلُونَ عَلَى اللُّؤْلُؤِ وَالْمَرْجَانِ وَصَيْدِ الْأَسْمَاكِ وَغَيْرِهَا.

وهذه النعم؛ لأجل أن تشكروا ربكم على ما أنعم به عليكم، فإنكم إن شكرتموه زادكم من نعمه، وأثابكم على شكركم أجراً جزيلاً.

ومن مظاهر رحمة الله تعالى بالإنسان أن خلق له كل ما في الكون سواء في السماوات والأرض وما بينهما، فالكل من فضله وإحسانه، من عنده وحده جلّ وعلا لا شريك له.

ويختتم الله ﷻ الآية مؤكداً إن فيما ذكر عبر وعظات لقوم يتأملون في بدائع صنع الله تعالى فيستدلون على قدرته ووحدانيته ويؤمنون به سبحانه.

الأمر بالصبر على أذى المشركين:

يُوجِّهُ اللَّهُ ﷻ الْخُطَابَ لِلنَّبِيِّ ﷺ فَيَقُولُ: قُلْ يَا رَسُولَنَا لِلْمُؤْمِنِينَ مِنْ عِبَادِنَا يَتَجَاوَزُوا عَنِ الْكُفَّارِ وَلَا يُوَاخِذُوهُمْ عَلَى الْأَذَى وَالْأَفْعَالِ، وَلِيَصْفَحُوا عَنْ هَؤُلَاءِ الْمُشْرِكِينَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ ثَوَابَ اللَّهِ ﷻ؛ وَلَا يَخَافُونَ عِقَابَهُ فِي الْعَاصِينَ.

وَعَلَّلَ ذَلِكَ الْأَمْرَ بِالصَّفْحِ وَالتَّجَاوُزِ؛ لِيُوَخَّرَ اللَّهُ تَعَالَى لَهُمْ ذَلِكَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَيَجْزِيَهُمْ بِهِ أَسْوَأَ الْجُزَاءِ.

فائدة: كَانَ هَذَا الصَّفْحُ وَالتَّجَاوُزُ فِي ابْتِدَاءِ الْإِسْلَامِ، فَقَدْ أَمَرُوا أَنْ يَصْبِرُوا عَلَى أذى الْمُشْرِكِينَ وَأَهْلِ الْكِتَابِ؛ لِيَكُونَ ذَلِكَ تَأْلِيفًا لِقُلُوبِهِمْ، ثُمَّ لَمَّا أَصْرَبُوا عَلَى الْعِنَادِ، شَرَعَ اللَّهُ تَعَالَى لِلْمُؤْمِنِينَ الْجِهَادَ.

الأعمال الصالحة تنفع صاحبها:

ثُمَّ يَخْبِرُ اللَّهُ تَعَالَى أَنَّ مَنْ عَمَلَ صَالِحًا فِي هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنْ إِيمَانٍ وَطَاعَةٍ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ فِي أَمْرِهِمَا وَنَوَاهِيهِمَا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَدْخُلُهُ الْجَنَّةَ، وَمَنْ ارْتَكَبَ السَّيِّئَاتِ وَأَسَاءَ فِي حَيَاتِهِ فَلَمْ يُؤْمِنْ وَلَمْ يَعْمَلْ صَالِحًا، فَجَزَاءُ مَا كَسَبَهُ مِنَ الشَّرِكِ وَالْمَعَاصِي عَذَابُ النَّارِ وَالْخُلُودُ فِيهَا.

كَمَا بَيَّنَّ ﷻ أَنَّكُمْ أَيُّهَا النَّاسُ بَعْدَ هَذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا عَمَلْتُمْ فِيهَا مِنْ صَالِحٍ أَوْ سَيِّئٍ تَرْجِعُونَ إِلَى اللَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَجْزِيكُمْ كُلًّا بِحَسَبِ عَمَلِهِ الْخَيْرَ بِالْخَيْرِ وَالشَّرَّ بِمِثْلِهِ.

من هداية الآيات:

١. كُلُّ مَا فِي الْكَوْنِ مَدْلَلٌ لِحُدْمَةِ الْإِنْسَانِ.
٢. بَيْنَ اللَّهِ ﷻ كَثِيرًا مِنْ دَلَائِلِ خَلْقِهِ حَتَّى يُؤْمِنَ الْإِنْسَانُ بِهَا.
٣. بِالشُّكْرِ تَدْوُمُ النِّعَمِ وَتَزِيدُ.
٤. تَقْرِيرُ عَقِيدَةِ الْبَعْثِ وَالْجِزَاءِ.
٥. الْمُؤْمِنُ لَا يُؤَاخِذُ بِذَنْبِ غَيْرِهِ.
٦. اللَّهُ ﷻ عَدْلٌ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا.

نعم الله تعالى على بني إسرائيل الآيات (١٦ - ٢٢) من سورة الجاثية

قَالَ تَعَالَى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ وَءَاتَيْنَاهُمْ بَيِّنَاتٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَمَا اخْتَلَفُوا إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْعِلْمُ بَغْيًا بَيْنَهُمْ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿١٧﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَى شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾ إِنَّهُمْ لَن يُغْنُوا عَنْكَ مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَإِنَّ الظَّالِمِينَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُتَّقِينَ ﴿١٩﴾ هَذَا بَصِيرَةٌ لِلنَّاسِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ ﴿٢٠﴾ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَن نَّجْعَلَهُمْ كَالَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً مَّحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴿٢١﴾ وَخَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ وَلِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ ﴿٢٢﴾﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
دلالات	بَيِّنَاتٍ
ظلما	بَغْيًا
ناصر ومعين	وَلِيُّ
اكتسبوا بجوارحهم الشرك والمعاصي	اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ

المعنى الإجمالي:

فضل الله تعالى على بني إسرائيل:

يخبرُ اللهُ ﷻ أنه من فضله وكرمه أعطى بني إسرائيل - وهم أولادُ يعقوبِ عليه السلام -
نعماً عظيمةً وهي:

١- التوراة.

٢- وفصل الخصومات من الفهم وفقه الدين.

٣- وجعل منهم الأنبياء والرسل.

٤- ورزقناهم اللذائذ كالمِن والسلوى.

٥- وفضلناهم على عالمي زمانهم.

أثر الكفر بالنعم: يبين الحقُّ تبارك وتعالى أن هذه النعم التي أنعم اللهُ بها على بني إسرائيل، تقتضي أن يقوموا بواجباتها على أكمل الوجوه وأن يجتمعوا على الحق الذي بينه اللهُ تعالى لهم، ولكنهم لم يشكروا هذه النعم ولم يقوموا بواجباتها، وافترقوا فيما أمروا بالاجتماع عليه من التوحيد قال تعالى: ﴿وَمَا نَفَرَقَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ إِلَّا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَتْهُمْ الْبَيِّنَةُ ۗ﴾^(١) وكذلك اختلفوا فيما أمروا به من الإيمان بنبي آخر الزمان وهو محمد ﷺ وكان السبب في اختلافهم هو البغي والظلم والحسد والعناد وطلب الرئاسة فالله يفصل بينهم يوم القيامة فيميزُ المحقَّ من المبطّل.

(١) سورة البينة: ٤

فوائد: الأولى: جاءت هذه الآيات؛ تسليّةً للنبي ﷺ؛ حتّى لا يحزنَ على كفر قومه، فالله أعطى بني إسرائيل الكتابَ والنعمةَ العظيمةَ فلم يشكروا فعاقبهم الله تعالى.

الثانية: جعلَ اللهُ تعالى أمةَ النبي محمدٍ ﷺ خيرَ أمةٍ أُخْرِجَتْ للناسِ، وإنَّ الفضائلَ التي فُضِّلَ به بنو إسرائيلَ من الكتابِ والحُكْمِ والنبوةِ وغيرها قد حَصَلَتْ كُلُّهَا لهذه الأمةِ، وزادتْ عليها فضائلٌ كثيرةٌ منها:

١- القرآن الكريمُ مهيمُنٌ على سائرِ الكُتُبِ السابقة.

٢- حَفَظَ اللهُ تعالى القرآنَ الكريمَ من التحريفِ والتبديلِ.

٣- محمدٌ ﷺ مصدِّقٌ لجميعِ الأنبياءِ.

٤- محمدٌ ﷺ خاتمِ الأنبياءِ.

الثالثة: في الآيةِ زَجْرٌ للمشركينَ أن يسلكوا مَسَلَكِ مَنْ سَبَقَهُمْ مِنَ الْأُمَمِ الْعَاتِيَةِ الطاغيةِ وتحذيرٌ لأمةِ محمدٍ ﷺ من أن تسلكَ مَسَلَكَهُمْ.

وجوب التمسك بالشرعة الإسلامية:

ثم يخبرُ اللهُ ﷻك أن جعلناك يا محمدٌ على طريقةٍ واضحةٍ ومنهاجٍ سديدٍ من أمر الدين، وذلك؛ لأنها شريعةٌ شاملةٌ لكلِّ جوانبِ الحياةِ وتتسمُّ باليسرِ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: «إِنَّ الدِّينَ يُسْرٌ وَلَنْ يُشَادَّ الدِّينَ أَحَدٌ إِلَّا غَلَبَهُ»^(١)، فلذلك فاتبعها واعمل بها فإنَّ

(١) رواه البخاري

في اتباعها السعادة الأبدية والصلاح والفلاح، ولا تحد عنها مُتبعاً ضلالاتِ المشركين وآراءِ الجُهَّالِ فإنهم لا يَنفَعونكَ عندَ الله تعالى إن اتبعَتهم على أهوائهم، وإنَّ الظالمين لِيَتعاونونَ ويتناصرونَ مع بعضهم البعضَ في الدنيا، ولا معينَ لهم في الآخرة، واللهُ سُبْحَانَهُ وليُّ المتقينَ في الدنيا والآخرة.

القرآن الكريم نور المتقين:

ثم يُبينُ اللهُ تعالى أنَّ القرآنَ الكريمَ يملاً القلبَ نوراً؛ ويحصلُ به خيرٌ كثيرٌ وبركاتٌ عديدةٌ منها:

١- التَّبَصُّرَةُ في جميعِ أمورِ الناسِ.

٢- هدايةُ الخَلْقِ إلى الله تعالى فيحصلُ به الانتفاعُ والهُدَى.

٣- استحقاقُ العبادِ لرحمةِ الله تعالى.

فالقرآنُ الكريمُ يهدي إلى الصراطِ المستقيمِ ويحصلُ به الخيرُ والسعادةُ في الدنيا والآخرة، فتزكو به النفوسُ وتستنيرُ به العقولُ.

عدل الله تعالى:

قال تعالى: ﴿وَلِتُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾

بينَ اللهُ تعالى أنه لا يتساوى المؤمنُ مع الكافر ولا البرُّ مع الفاجرِ لا في الدنيا ولا في الآخرة، ولا في محياهم ولا في مماتهم. فإن ظنُّوا ذلكَ فقد قُبِحَ ما ظنُّوا وساءَ ما حسبوا من

التسوية بين الحقِّ والباطلِ، فإنه حُكْمٌ يخالفُ حِكْمَةَ أَحْكَمِ الحَاكِمِينَ وخَيْرُ العَادِلِينَ ويناقضُ العقولَ والفِطْرَ السليمةَ، فالعدلُ يقتضي أَنَّ المؤمنَ العاملِ الصالحينَ لهم النصرُ والفلاحُ والسعادةُ والثوابُ في العاجلِ والآجلِ، وأنَّ المسيئينَ لهم الغضبُ والإهانةُ، كلُّ على قدرِ عَمَلِهِ.

ويؤكدُ اللهُ ﷻ على عدله بين الناسِ بأنه خلَقَ السماواتِ والأرضِ بالعدلِ والحقِّ ليجازِيَ بعدَ ذلكَ كلَّ إنسانٍ بعَمَلِهِ وبما اكتسبه من خَيْرٍ أو شرٍّ، وهذا من تمامِ عدلِ اللهِ ﷻ، فَمِنْ أسمائه العدلُ ولا يظلمُ ربك أحداً.

من هداية الآيات:

١- شكرُ الله تعالى على نعمِهِ الكثيرةِ والوفيرةِ.

٢- العلمُ سبيلٌ إلى الاجتماعِ والوحدةِ.

٣- الاعتبارُ والاتعاظُ بمصيرِ الأممِ السابقةِ.

٤- اللهُ ﷻ عدلٌ ولا يظلمُ الناسَ شيئاً.

بين الجزاء العادل والحق الفاضل

الآيات (٢٣-٢٩) من سورة الجاثية

قال تعالى: ﴿أَفَرَأَيْتَ مَنِ اتَّخَذَ إِلَهَهُ هَوَاهُ وَأَضَلَّهُ اللَّهُ عَلَىٰ عِلْمٍ وَخَتَمَ عَلَىٰ سَمْعِهِ وَقَلْبِهِ وَجَعَلَ عَلَىٰ بَصَرِهِ غِشَاوَةً فَمَن يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٢٣﴾ وَقَالُوا مَا هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلَّا الدَّهْرُ وَمَا لَهُم بِذَلِكَ مِنْ عِلْمٍ إِنْ هُمْ إِلَّا يَظُنُّونَ ﴿٢٤﴾ وَإِذَا نُتِلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَاتُنَا بَيِّنَاتٍ مَا كَانَ حُجَّتَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا اتَّبَوْنَا أَتَابَانَا إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٥﴾ قُلِ اللَّهُ يُخَيِّبُكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يَجْمَعُكُمْ إِلَىٰ يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٦﴾ وَلِلَّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُومِدِ يَخْسِرُ الْمُبْطِلُونَ ﴿٢٧﴾ وَتَرَىٰ كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَىٰ إِلَىٰ كِتَابِهَا الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٨﴾ هَذَا كِتَابُنَا يَنْطِقُ عَلَيْكُمْ بِالْحَقِّ إِنَّا كُنَّا نَسْتَنسِخُ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٢٩﴾﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
طبع	وَحَتَمَ
ظُلْمَةٌ عَلَىٰ عَيْنَيْهِ	غِشَاوَةً
الجثو هو الجلوس على الركب	جَائِيَةً

المعنى الإجمالي:

ذم اتباع الهوى:

يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ حَالَ مَنْ جَعَلَ مَعْبُودَهُ مَا تَهْوَاهُ نَفْسُهُ، فَيَخَاطَبُ الرَّسُولَ ﷺ بِقَوْلِهِ: أَخْبِرْنِي يَا مُحَمَّدُ عَنْ حَالِ مَنْ تَرَكَ عِبَادَةَ اللَّهِ تَعَالَى وَعَبَدَ هَوَاهُ، وَالِاسْتِفْهَامُ هُنَا لِلتَّعَجُّبِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: ذَلِكَ الْكَافِرُ اتَّخَذَ دِينَهُ مَا يَهْوَاهُ، فَلَا يَهْوِي شَيْئًا إِلَّا رَكِبَهُ، وَأَصْبَحَ ضَالًّا بَعْدَ بُلُوغِ الْعِلْمِ إِلَيْهِ وَقِيَامِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ، فَحَالُ ذَلِكَ الشَّقِيِّ، أَشَدُّ قُبْحًا وَشِنَاعَةً عَمَّنْ يَضِلُّ عَنْ جَهْلٍ، لِأَنَّهُ يُعْرَضُ عَنِ الْحَقِّ وَالْهُدَى اسْتِكْبَارًا وَاتِّبَاعًا لِهَوَى نَفْسِهِ كَمَا قَالَ تَعَالَى ﴿وَجَحَدُوا بِهَا وَاسْتَيْقَنَتْهَا أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا فَانظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ﴾ (١٤) (١).

ثم ذَكَرَ اللَّهُ ﷻ أَثَرَ عِبَادَةِ الْهَوَى ، وَذَلِكَ أَنَّهُ طَبَعَ عَلَى سَمْعٍ وَقَلْبٍ وَبَصَرٍ مِنْ اتِّبَاعِ هَوَاهُ بِحَيْثُ لَا يَتَأَثَّرُ بِالْمَوَاعِظِ وَلَا يَتَفَكَّرُ بِالآيَاتِ وَالنَّذْرِ، فَأَصْبَحَ لَا يَسْمَعُ الْهُدَى كَأَنَّهُ أَصَمٌّ، وَلَا يَفْهَمُ الْآيَاتِ كَأَنَّهُ لَا قَلْبَ لَهُ، وَلَا يَرَى الْحَقِيقَةَ كَأَنَّ عَلَى بَصَرِهِ ظِلْمَةً بِحَيْثُ لَا يَرَى الْأَدْلَةَ وَلَا الْعَلَامَاتِ الْهَادِيَةَ إِلَى الْحَقِّ وَإِلَى الطَّرِيقِ الْمُسْتَقِيمِ الْمَفْضِيِّ بِسَالِكِهِ إِلَى النِّجَاةِ مِنَ النَّارِ وَدُخُولِ الْجَنَّةِ، فَمَنْ الَّذِي يَسْتَطِيعُ أَنْ يَهْدِيَهُ بَعْدَ أَنْ أَضَلَّهُ اللَّهُ تَعَالَى؟ - لَا أَحَدٌ يَقْدِرُ عَلَى ذَلِكَ، أَفَلَا تَعْتَبِرُونَ أَيُّهَا النَّاسُ وَتَتَعَطَّوْنَ بِهَذَا الْحَالِ الْمَخْزِي.

فائدة: لما عبد المشركون أهواءهم، وضلوا على علم عاقبهم الله ﷻ بعدة عقوباتٍ نكالاً

(١) سورة النمل: ١٤

بهم على ما فعلوا، فطبع على قلوبهم وأسماعهم، وجعل غشاوة على أبصارهم فلا يعرفون
معروفاً ولا ينكرون منكراً.

إنكار المشركين للبعث والجزاء:

يخبرُ اللهُ تعالى عن أحوال المشركين واعتقادهم في البعث حيث قالوا: لا حياة إلا هذه
الحياة الدنيا يموت بعضنا ويحيا بعضنا، ولا آخرة ولا بعث، ولا نشور وما يُهلكنا إلا مرورُ
الزمان وتعاقبُ الأيام.

فيُردُّ اللهُ عليهم: بأنَّ كلامهم ليس له مستندٌ من عقلٍ أو نقلٍ، فما هم إلا قومٌ يتوهمون أو
يتخيّلون.

وإذا قرئت آياتُ القرآنِ الكريمِ على المشركين واضحةً الدلالةِ على البعثِ والنشورِ، ما
كانت حجّتهم في دفعِ الحقِّ إلا أن يقولوا: أحيوا لنا آباءنا الأولين، إن كان ما تقولونه حقاً،
وسمى اللهُ تعالى قولهم الباطل حجّةً على سبيلِ التهكمِ والسخريةِ.

فيرد الله تعالى عليهم بأمرين:

الأول: قل لهم يا محمد: اللهُ الذي خلقكم ابتداءً حين كنتم نطفاً هو الذي يميّتكم عند
انقضاءِ آجالكم، ثم بعد الموتِ يبعثكم للحسابِ ويجمعكم للجزاءِ، فإن من قدرَ على البدءِ
قادرٌ على الإعادةِ، ولكن أكثرَ الناسِ لجهلهم وقصورهم في النظرِ والتفكيرِ، لا يعلمون قدرةَ
اللهِ فينكرون البعثَ والجزاءَ.

والثاني: أَنَّهُ مَالِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْمُتَصَرِّفُ فِيهِمَا وَلَهُ الْحُكْمُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ، وَمَنْ كَانَ هَذَا وَصْفَهُ فَهُوَ قَادِرٌ عَلَى إِمَاتَةِ النَّاسِ وَإِحْيَائِهِمْ وَجَمْعِهِمْ لِلْحِسَابِ يَوْمَ الْقِيَامِ، فِيهِه يَخْسِرُ الْكَافِرُونَ الْجَاهِدُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ ﷻ، لِأَنَّ أَعْمَالَهُمْ كَانَتْ مَبِينَةً عَلَى الْبَاطِلِ فَكَانَ مَصِيرُهُمُ الْخَسْرَانَ.

ذكر بعض أحوال يوم القيامة:

ثم يصفُ اللهُ ﷻ مشهداً يبينُ شِدَّةَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهَوْلَهُ، لِيَحْذَرَهُ الْعِبَادُ وَيَسْتَعِدُّوا لَهُ، وَهُوَ الْجِثْوُ عَلَى الرَّكَبِ قَالَ تَعَالَى: ﴿وَتَرَى كُلَّ أُمَّةٍ جَائِيَةً﴾ أَي تَرَى أَيُّهَا الرَّائِي كُلَّ أُمَّةٍ مِنَ الْأُمَّمِ جَالِسَةً عَلَى الرَّكَبِ مِنْ شِدَّةِ الْهَوْلِ وَالْفَزَعِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، كَمَا يَجْثُو الْخِصُومُ بَيْنَ يَدَيْ الْحَاكِمِ وَهُمْ خَائِفُونَ أَذْلَاءً، وَفِي مِثْلِ هَذِهِ الْحَالِ تُدْعَى كُلُّ أُمَّةٍ إِلَى كِتَابِهَا قَالَ تَعَالَى: ﴿كُلُّ أُمَّةٍ تُدْعَى إِلَى كِتَابِهَا﴾ وَالْمَقْصُودُ بِالْكِتَابِ الَّذِي تُدْعَى إِلَيْهِ الْأُمَّةُ مَا يَلِي:

١- صحائفُ الأعمالِ وما سَطَرَ عَلَيْهَا مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ، فَكُلُّ أَحَدٍ يُجَازَى بِمَا عَمَلَ قَالَ تَعَالَى: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ﴾ (١٥).

٢- شريعةُ نبيِّهم الذي جاءهم من عندِ اللهِ ﷻ وهل قاموا بها فيحصلَ لهم الثوابُ والنجاةُ أم ضيعوها فيحصلَ لهم الخسرانُ، فأمةُ موسى ﷺ تُدعى إلى شريعةِ موسى، وأمةُ عيسى ﷺ تُدعى إلى شريعةِ عيسى... وهكذا.

وبعدَ اطلاعِ الأُمَّةِ عَلَى كِتَابِهِمْ فِي هَذَا الْيَوْمِ الرَّهيبِ يَقُولُ اللهُ تَعَالَى لَهُمْ هَذَا كِتَابُ أَعْمَالِكُمْ يَشْهَدُ بِالْحَقِّ مِنْ غَيْرِ زِيَادَةٍ وَلَا نَقْصَانٍ، وَكُنَّا نَأْمُرُ الْمَلَائِكَةَ بِكِتَابَةِ أَعْمَالِكُمْ وَالآنَ نُجَازِيكُمْ بِهَا

(١) سورة الجاثية: ١٥.

وتنالون جزاء أعمالكم من خيرٍ أو شرٍّ، قال تعالى: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ﴾ (٧)
 وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ (٨) (١).

من هداية الآيات:

١- مَنْ فَرَّطَ فِي حَقِّ اللَّهِ ﷻ فِي الدُّنْيَا كَانَ حُظُّهُ الْخُسْرَانَ فِي الْآخِرَةِ.

٢- كُلُّ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ مُلْكٌ لِلَّهِ ﷻ.

٣- يَوْمُ الْقِيَامَةِ يَوْمٌ شَدِيدُ الْأَهْوَالِ.

٤- الْحَذَرُ مِنْ عَصِيَانِ اللَّهِ ﷻ.

صور من أهوال يوم القيامة

الآيات (٣٠-٣٧) من سورة الجاثية

قال تعالى: ﴿فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَيُدْخِلُهُمْ رَبُّهُمْ فِي رَحْمَتِهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْمُبِينُ ٣٠﴾ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا أَفَلَمْ تَكُنْ ءَايَتِي تُلَىٰ عَلَيْكُمْ فَاسْتَكْبَرْتُمْ وَكُنتُمْ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ٣١﴾ وَإِذَا قِيلَ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَالسَّاعَةُ لَا رَيْبَ فِيهَا قُلْتُمْ مَا نَدْرِي مَا السَّاعَةُ إِنْ نَظُنُّ إِلَّا ظَنًّا وَمَا نَحْنُ بِمُستَيْقِنِينَ ٣٢﴾ وَبَدَأَهُم سَيِّئَاتٍ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ ٣٣﴾ وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنسِكُكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا وَمَأْوِنَكُمْ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِّن تَنْصِيرِينَ ٣٤﴾ ذَلِكَ بِأَنكُمْ أَخَذْتُم ءَايَتِ اللَّهِ هُزُوًا وَغَرَّتْكُمْ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا فَالْيَوْمَ لَا يُخْرَجُونَ مِنْهَا وَلَا هُمْ يُسْئَلُونَ ٣٥﴾ فَلِلَّهِ الْحَمْدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَرَبِّ الْأَرْضِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ٣٦﴾ وَلَهُ الْكِبْرِيَاءُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ٣٧﴾

معاني المفردات:

المعنى	اللفظ
لا شك	لَا رَيْبَ
ظهر لهم	وَبَدَأَهُم
مستقركم	وَمَاوِنَكُمْ
خدعتكم	وَوَغَرَّتْكُمْ
العظمة والجلال	الْكِبْرِيَاءُ

المعنى الإجمالي:

الجزء من جنس العمل:

يبيّن الله تعالى أحوال المطيعين والعاصين، فأما المؤمنون الصالحون المتقون لله في الحياة الدنيا فيدخلهم الله في رحمته وهي الجنة، وسُميت الجنة رحمةً، لأنها مكان تنزل رحمة الله تعالى، وذلك هو الفوز العظيم البيّن الظاهر الذي لا فوز وراءه.

أما الكفار فيوبّخهم الله تعالى قائلاً لهم:

١- أفلم تكن الرسل تتلو عليكم آيات الله تعالى، ودلتكم على ما فيه صلاحكم، ونهتكم عمّا فيه ضرركم، فما كان منكم إلا التكبر عن الإيمان بها والإعراض عن سماعها، وكنتم قوماً مجرمين في أفعالكم مع ما اشتملت عليه قلوبكم من التكذيب.

٢- قد أنكرتم البعث والساعة، فإذا قيل لكم: إن الساعة آتية لا محالة، والقيامة آتية لا شك فيها. قلتم: لا نعرف يوم القيامة ولا نعرف الساعة. أي شيء هي؟ نحن نتوهم وقوعها ولسنا متحققين من ذلك فيظهر الله تعالى لهم عقوبة أعمالهم السيئة، وينزل بهم العذاب الذي كانوا في الدنيا يستهزئون بوقوعه.

توبيخ المشركين في نار جهنم:

يُوبِّخُ اللَّهُ تَعَالَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ يَقَاسُونَ أَهْوَالَهَا وَشِدَائِدَهَا قَائِلًا لَهُمْ: الْيَوْمَ نَتْرُكُكُمْ فِي الْعَذَابِ وَنَعَامِلُكُمْ مَعَامِلَةَ النَّاسِي، كَمَا تَرَكْتُمْ الطَّاعَةَ الَّتِي هِيَ الزَّادُ لِيَوْمِ الْمَعَادِ، فَلَمْ تَعْمَلُوا لِآخِرَتِكُمْ فَهَذَا هُوَ مُسْتَقَرُّكُمْ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، وَلَيْسَ لَكُمْ مَنْ يَنْصُرُكُمْ أَوْ يَخْلِّصُكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَإِنَّمَا جَزَيْنَاكُمْ بِهَذَا الْجَزَاءِ بِسَبَبِ سَخَرِيَّتِكُمْ مِنْ عَذَابِ اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْ كَلَامِهِ وَاسْتَهْزَأْتُمْ بِهِ وَخَدَعْتُمْ الدُّنْيَا بِزُخْرَفِهَا وَأَبَاطِيلِهَا، حَتَّى ظَنَنْتُمْ أَنَّ لَا حَيَاةَ سِوَاهَا وَلَا بَعْثَ وَلَا نَشُورَ، فَالْيَوْمَ لَا تَخْرُجُونَ مِنَ النَّارِ وَلَا يُؤْذَنُ لَكُمْ بِالْإِعْتِدَارِ، وَلَا تُرَدُّونَ إِلَى الدُّنْيَا لِتَعْمَلُوا صَالِحًا.

كل المحامد والثناء لله تعالى:

اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ يُوجِبُ الْحَمْدَ لِنَفْسِهِ؛ لِأَنَّهُ رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَرَبُّ الْأَرْضِ وَرَبُّ الْعَالَمِينَ فَهُوَ الْخَالِقُ وَالْمَالِكُ لِجَمِيعِ الْمَخْلُوقَاتِ وَالْكَائِنَاتِ، وَهُوَ تَعَالَى الْمُسْتَحَقُّ لِلْعِظَمَةِ وَالْجَلَالِ وَالْبَقَاءِ وَالْكَمَالِ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ.

وَخَتَمَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ الْآيَاتِ بِصِفَتَيْنِ مِنْ صِفَاتِهِ، وَهُمَا الْعَزِيزُ وَهُوَ الْقَاهِرُ لِكُلِّ شَيْءٍ، وَالْحَكِيمُ الَّذِي يَضَعُ الْأَشْيَاءَ فِي مَوَاضِعِهَا فَلَا يُسْرِعُ إِلَّا لِحِكْمَةٍ وَمَصْلَحَةٍ.

فائدة: الحمد هو وصف المحمود بالكمال مع المحبة والتعظيم.

من هداية الآيات:

- ١- الجزء من جنس العمل.
- ٢- وجوب الاستعداد ليوم القيامة بالإيمان والعمل الصالح.
- ٣- استحقاق الله تعالى الحمد فهو المالك والخالق والرازق.
- ٤- يوم القيامة آت لا محالة.

قائمة المراجع والمصادر

- ١ - القرآن الكريم.
- ٢ - صفوة التفاسير: الصابوني.
- ٣ - التفسير الوسيط: محمد سيد طنطاوي.
- ٤ - أيسر التفاسير: أبو بكر الجزائري.
- ٥ - التفسير الميسر: عددٌ من أساتذة التفسير تحت إشراف الدكتور عبدالله بن عبد المحسن التركي.
- ٦ - التفسير الميسر: د. وهبة الزحيلي.
- ٧ - أصول في التفسير: ابن عثيمين.
- ٨ - تيسير الكريم الرحمن: عبد الرحمن السعدي.
- ٩ - المتخَبُّ في التفسير: لجنة من علماء الأزهر.
- ١٠ - زاد المسير: ابن الجوزي.
- ١١ - صحيح البخاري: الإمام البخاري.
- ١٢ - صحيح مسلم: مسلم بن الحجاج.
- ١٣ - المسند: أحمد بن حنبل.
- ١٤ - سنن الترمذي: الإمام الترمذي.
- ١٥ - سنن البيهقي: الإمام البيهقي.
- ١٦ - سنن أبي داود: أبو داود السجستاني.
- ١٧ - الصحيح من أسباب النزول: مقبل الوادعي.

أودع بمكتبة الوزارة تحت رقم ٧ بتاريخ ١٢ / ٢ / ٢٠١٥ م

طبع في



مطابع الخط
Al-Khat Printing Press